الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: دراسات في الفنون التشكيلية

الدلالات التعبيرية في اللوحة الاستشراقية (قراءة سيميولوجية للوحة "نسوة جزائريات داخل خرفتهن")

إعداد الطالب:

ملاك بلال

إشراف الدكتور:

رحوي حسين

أعضاء لجنة المناقشة

د/ بن مالك حبيب	رئيسا
د/ بولنوار مصطفى	مناقشا
د/ رحوي حسين	مشرفا

السنة الجامعية:

(1437 هـ-1438هـ)/ 2016م-2017م

﴿شكر وعرفان﴾

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الخالص والكبير إلى

أستاذي الدكتور "**رحوي حسين**"

الذي أشرف على هذه المذكرة مرارا وتكرارا

وأمدني دوما بالنصائح القيمة.

الشكر موصول **للجنة المناقشة** على تقديمها

الإعانة والتوجيهات القيمة و الرشيدة التي كانت من الحوافز

المشجعة لإتمام وانجاز هذه المذكرة.

بلال

إهداء

الحمد لله رب العالمين، حمدا طيبا كثيرا مباركا كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه فهو الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع فله الشكر وله الحمد.

إلى والدي الكريمين، إلى إخوتي

إلى أساتذتي، إلى كل من علمني حرفا

إلى جميع زملائي من تاء تلمسان إلى تاء تبسة

إلى كل من دافع عن الإسلام والمسلمين

وإلى كل مخلص للجزائر معتز بثورتها وشهدائها

أهدي هذا البحث.

بلال

مقدمة

العين بوابة الفنون البصرية وملتقى الفنون، والصورة هي اللغة التي تعلو كل لغات البشرية حيث تستحق التأمل والبحث بوصفها تترك بصمة واضحة في ذهن ومخيلة المتلقي.

فالإنسان عند رؤيته لآية من آيات الجمال يرتاح ويحس بالسعادة، سواء كانت مخلوقة من الله – **عز وجل** – أم كانت مصنوعة ابتدعها البشر فكانت من نتاج عقولهم وقلوبهم معاً ، فالصورة الفنية هي الإبداع و الجمال المتجسد بشكل مادي، فلا يمكن أن تصنف الأعمال البشرية على أنها فن من الفنون، إلا إن كان الجمال صفتها الغالبة عليها.

لقد شهدت بلدان الشرق بصفة عامة والعربية بصفة خاصة والجزائر تحديدا تيارات فكرية أثرت على مختلف جوانب تلك الصورة الفنية، سوآءا من الحياة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية، وحتى الدينية، تمثلت في إجراء دراسات مختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ولقد أسهمت تلك التيارات في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي و الجزائر، أين أتيحت الفرصة للعديد من الغربيين المستشرقين المختصين في المجالات المختلفة التوجه إلى الشرق وأخذ زمام المبادرة بفعل الاحتكاكات المختلفة لتمرير أهدافهم الإيديولوجية المسطرة مسبقا.

استغل الفنانون منذ القدم اللوحة الفنية في التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم، مثلما كان الحال بالنسبة للمدرسة الكلاسيكية التي كانت تحت وصاية الكنيسة التي فرضت على رواد تلك المدرسة تسخير لوحاتهم الفنية لأجل السيطرة على شعوبها، نفس المنهج اتبعه الفنانون المستشرقون في تصوريهم للعالم الشرقي وللجزائر خصوصا، فكانوا طوال ترحالهم بالشرق يرسمون كل ما هو غير مألوف عندهم، بدءا من الجمال إلى أنواع الأقمشة والزخارف وصولا إلى الطبيعة والعمارة والتقاليد الشرقية، إلا أن موضوع **المرأة** أو الحريم استحوذ على حصة الأسد في رسوماتهم الفنية، حيث كانت تمثل بالنسبة لهم عالم الشرق الدفين الذي شغل تفكيرهم، ذلك كون الاقتراب منها كان ممنوعا، فهي تمثل في المجتمع الإسلامي الشرقي حرمة الرجل وشرفه.

من بين هؤلاء الفنانين المستشرقين نجد الفنان الفرنسي زعيم المدرسة الرومانسية **"أوجين دولاكروا"** الذي سافر إلى اسبانيا وشمال إفريقيا ضمن بعثة دبلوماسية إلى المغرب بعدما احتل الفرنسيون الجزائر، حيث قضى بها عدة أيام وتمكن من خلالها من رسم لوحته المشهورة **"نساء الجزائر داخل غرفتهن"**، لهذا سنحاول في بحثنا هذا معرفة الصورة التي قدمها للمرأة الجزائرية من خلال تطبيق القراءة السيميولوجية على لوحته، وهي قراءة تركز على علم الدلائل والمعاني الخفية، في محاولة منا للاستفادة من قراءة العلامات الضمنية في اللوحة الفنية.

اخترنا القراءة السيميولوجية للوحة وهي طريقة وصفية تحليلية تكشف خفايا ونوايا الفنان المستشرق **"دولاكروا"** في لوحته المختارة "نساء الجزائر"، وقد قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

إطار منهجي وآخر نظري وإطار تطبيقي.

خصصنا الإطار المنهجي لاستعراض أهم الخطوات المنهجية التي شكلت مرتكزا للدراسة، في حين ضمنا الإطار النظري ثلاثة فصول: خصصنا الأول لسميائية الصورة في الفن التشكيلي، أما الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى أهم الدراسات التي تختص بمفهوم الاستشراق وواقع المرأة الجزائرية في خضم ذلك الفن وعن مكانتها فيه إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، أما الفصل الثالث فاعتمدنا فيه جانب المحايدة وعدم المغالاة في الحكم على الفن الاستشراقي، حيث تكلمنا فيه عن إيجابياته قبل الحديث عن سلبياته وعن تأثر رواده بالدين الإسلامي وبتقاليد الشعب الجزائري.

وأخيرا أتممنا هذه الدراسة بمحور تطبيقي، تطرقنا فيه إلى قراءة تضمينية وتعيينية للوحة فنية مختارة لزعيم المدرسة الرومانسية **"أوجين دولاكروا"** وذلك بتطبيق مقاربات التحليل في الدراسات السيميولوجية، في محاولة منا للوصول إلى نتائج تجيب عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة.

الإطار المنهجي

1/ إشكالية الدراسة

2/ تساؤلات الدراسة

3/ أسباب اختيار الموضوع

4/ أهمية الدراسة

5/ أهداف الدراسة

6/ المنهج المتبع

7/ عينة الدراسة

8/ الدراسات السابقة

9- المصطلحات

I-الإطار المنهجي:

1-إشكالية الدراسة:

اتسمت أعمال الفنانين المستشرقين بجمالية فنية عالية أثارت انتباه كل المهتمين، كما أن الاحتلال الفرنسي راهن عليهم لنشر أفكاره الاستعمارية.

فكانوا يركزون على ما ينقله الكتّاب والفلاسفة والرحالة في وصفهم "**عالم الحريم**" أو **المرأة الشرقية**.

ونتيجة هذا الغموض جعلت الغربي يسعى دوما إلى اكتشافه من خلال رسم المرأة الشرقية، حيث عرف الاستشراق كظاهرة اقترنت في رؤيتها المباشرة بإشارات ومشاعر الحب و المعرفة والرومانسية والمغامرة ، أما في رؤيتها المقنّعة اختزنت رغبة في السيطرة والاحتلال.

هذه الظاهرة كان نتاجها كتبا ودراسات ومذكّرات وسير والعديد من اللّوحات الفنيّة والصور الفوتوغرافية قدّمت ملامح ذهنية وحسية لبّت تصوّرات الغربي عن الشرق وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- **ماهي الدلالات الكامنة وراء تصوير الفنانين المستشرقين الجانب التشكيلي من صورة المرأة الجزائرية؟**

ولتفصيل أكثر لهذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

1- إلى أي مدى تتراءى شخصية المرأة الجزائرية في أعمال المستشرقين ؟

2- هل عكست فعلا لوحات الفنانين المستشرقين الواقع المعاش للمرأة الجزائرية آنذاك؟

3- ما هي الدلالات الكامنة وراء الأشكال والخطوط والألوان في اللوحة الفنية المختارة؟

4- ما هو سر تأثر الغربيين من علماء و أدباء ومفكرين وفنانين بالمرأة الشرقية ؟

ومن الدوافع المختلفة والعديدة التي أدت إلى اختيار الموضوع جملة من الأسباب: **الذاتية** وأخرى **الموضوعية**.

الأسباب الذاتية:

- اهتمامي بتلك اللوحة التي حققت أعلى مبلغ في المزادات العالمية والموسومة **"بنساء الجزائر"** وهي لوحة استشراقية بامتياز.
- محاولة إماطة اللثام عن السبب الحقيقي وراء تمثيل المرأة الجزائرية بتلك الطريقة الإغوائية التي تنافي التقاليد الشرقية لذلك المجتمع .
- معرفة حقيقة واقع المرأة الجزائرية آنذاك وهل كانت حبيسة الجدران العالية حقا وتحت وطأة الرجل الشرقي فعلا ؟ كما قال عنها الغربيون.
- الإعجاب الشخصي بالفن الغربي وفنانيه، وبأعمال المستشرقين.

أما **الأسباب الموضوعية** فيمكن حصرها فيما يلي:

- ندرة مثل هذه الدراسات السيميولوجية المتعلقة بالاستشراق والمستشرقين .
- ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، ولاسيما في العصر الحاضر حيث أصبح الاستشراق وسيلة من وسائل الاستعمار الحديث.

❖محاولة محاسبة الاستشراق والمستشرقين على إجحافهم وعدم نقلهم الحقيقة كاملة في لوحاتهم ، دون بخسهم حقهم التاريخي.

✓ تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على مجال الصورة السيميولوجية، باعتبارها علما جديدا في طريق الاستقرار يعتمد على استغلال المقاربات والدلالات لاستنطاق اللوحة الفنية.

✓ الاسهام في إثراء الدراسات والبحوث السيميولوجية المتعلقة بالمرأة الجزائرية.

✓ اكتشاف جانب مهم في التاريخ الفني الجزائري، ألا وهو الاستشراق في المرأة.

✓ الخوض في مجال الاستشراق باعتباره علم قديم وحديث في نفس الوقت.

5-أهداف الدراسة :

5-1- الوصول إلى الكشف المعّاني الحقيقية (أو النوايا الحقيقية)التي تحملها اللوحات الاستشراقية من خلال تحليلها.

5-2- إظهار الهدف الحقيقي الذي يهدف إليه المستشرقين بمكوثهم في مختلف البلدان العربية (مصر, المغرب) بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة.

5-3- إظهار دور شريان الحياة والأمة الإسلامية المتمثل في المرأة الشرقية في بناء المجتمع.

5-4- إبراز قدرة اللغة البصرية على توصيل المعاني والدلالات للمتلقي.

5-5- تبيان الدور الفعال للمستشرقين في مساندة الاستعمار.

6- المنهج المتبع:

يعرف المنهج بأنه الطريقة التي نستطيع بها الوصول إلى نتائج علمية بيسر وسهولة، إذا فهو مجموع الوسائل التي تهدف إلى كشف الحقيقة العلمية أولا، وإقامة الحجة عليها ثانيا.

لذلك نحن نعتمد على المقاربة السيميولوجية ولكننا مع ذلك وجدنا أنفسنا مطالبين بالاستعانة بالمنهج التاريخي في جوانب من هذه الدراسة، فدراستنا تصنف ضمن الدراسات التي تعتمد على المقاربة التحليلية السيميولوجية بما أن هدفنا هو تحليل الصورة واللوحات الفنية الاستشراقية وتفكيك مفردتها، من أجل الكشف عن ما تخفيه من معاني ودلالات وإظهار المعاني الحقيقية لكل علامة، عن طريق إتباع خطوات تحليلية توصلنا إلى المعنى الحقيقي للرسالة ويعمل أيضا على إظهار نوايا المرسل من جهة، ومن جهة أخرى فطبيعة المادة التي بن أيدينا تستوجب منا العودة بين الفينة و الأخرى إلى الماضي لتقصي بعض الحقائق التاريخية سواء تلك المتعلقة بالجانب النظري أو المتعلقة بالجانب التطبيقي.

7/ عينة الدراسة:

عينة البحث التي وجدناها ملائمة، بحيث يوجد ما يفوق 130 فنانا استهواه الموضوع الشرقي أغلبهم يملك أكثر من 10 لوحات على الأقل للمرأة الشرقية من بينها الجزائرية، لذا رأينا أنه من الأفضل اختيار لوحات يكون

موضوعها وظروف رسمها لها علاقة مباشرة بموضوع بحثنا فوقع اختيارنا على لوحة:

"نساء الجزائر داخل غرفتهن" للفنان الفرنسي **"أوجين دولاكروا"**

وذلك راجع لأسباب عديدة أبرزها:

- الفنان يمثل الاستشراق الفرنسي في الجزائر في بداية القرن 19.
- هو زعيم المدرسة الرومانسية وهي أكثر المدارس اهتماما بالموضوع الشرقي والمرأة.
- فترة رسم اللوحة كانت البداية الحقيقية لظهور الاستشراق بالجزائر.
- هي اللوحة الوحيدة التي رسمها عن المرأة الجزائرية من مجموع 100 لوحة شرقية و 850 عملا فنيا.

8-الدراسات السابقة :

فيما يخص الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث فيمكن تقسيمها إلى دراسات عربية تناولت أهم أعمال المستشرقين ، وبالأخص الدراسات التي تناولت المرأة الشرقية.

1/ الدراسة الأولى:

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال للطالبة – يمينة منخرفيس- بعنوان "صورة المرأة الجزائرية في الفن الاستشراقي –جامعة الجزائر –كلية العلوم السياسية والإعلام –السنة الجامعية 2010-2011

2/ الدراسة الثانية:

تناولتها الباحثة "إيمان عفان" بعنوان " **دلالة الصورة الفنية –دراسة تحليلية سيميولوجية لمنمنمات محمد راسم–**

حيث عملت الباحثة على إبراز الدور الاتصالي للوحة الفنية ومدى أهمية الدلالات التي تحملها وراء الخط والشكل والألوان وذلك بالاستعانة بالدراسة السيميولوجية أين سهلت هذه الدراسة موضوع بحثنا باعتبار المنهج الذي اتبعناه في تحليل هذه اللوحات يعتمد على الدراسة السيميولوجية.

3/ الدراسات الأجنبية الغربية:

الدراسات الأجنبية الغربية التي خدمت بحثنا وبالأخص في المجال الذي تكلمنا عنه عن المرأة الشرقية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة نجد:

الدراسة التي نشرتها الباحثة " **ليون تورونتو**"

(Lyune Thoron ton) les femme dane les peinture orientalis

في كتاب بعنوان النساء في الرسومات الاستشراقية، بحيث بدأت بحثها بالسرد التاريخي لبداية الفن الاستشراقي والعوامل المؤثرة في ظهوره عند الفنانين الغربيين ولواحاتهم الشرقية.

فيما يخص **الصعوبات** التي واجهتنا في مرحلة البحث فهي في الحقيقة كانت في الأول قليلة ولكنها فاجئتنا في الأخير وذلك بسبب عملية الرسكلة الواسعة والتمحيص المفصل حول الموضوع الذي كان تحت عنوان صورة المرأة في الفن الاستشراقي ليصبح الدلالات التعبيرية وراء اللوحة الاستشراقية فالصعوبة الوحيدة هي قلة الدراسات التي تحلل صورة المرأة مشقة الكتابة

وإعادة الصياغة وفق الفهم الخاص والتنقل والاطلاع من كتاب إلى آخر، بالرغم من ذلك سعينا من أجل تقديم وتوضيح النظرة الحقيقة للاستشراق والمواضيع الشرقية التي يفضل الفنانون الغربيون رسمها وخاصة ما تعلق بصورة المرأة.

المصطلحات:

1- **الصورة:** فالصورة علامة بصرية ندرك من خلالها نوعا من محاكاة الواقع وليس الواقع ذاته، ويقصد بالصورة الهيئة وصورة الشيء هي خياله في الذهن أو العقل .

2- **الصورة التشكيلية:** وهي مجموعة الأعمال الفنية كالرسم و التصوير الملون أو غير الملون والنحت، معبرة بذلك عن الطبيعة أو أفكار أو أحاسيس الفنان، فهي تتكون من الشكل والمضمون والمادة، وتأتي كفعلٍ ايجابي لتفاعلهم معًا .

3 - **الفنون التشكيلية:** هي تلك الفنون التي تشمل الرسم والتصوير والزخرفة والنحت والحفر.

4- **الرسم Dessin:** هو تعبير تشكيلي وهو التعبير عن الأشياء بواسطة استعمال العديد من الرموز والأدوات مثل الخط والألوان والبقع وهو شكل من أشكال الفنون المرئية والفنون التشكيلية.

5-الاستشراق: هو علم الشرق أو علم ' العالم الشرقي'[1] وبالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي**Orientalistes** أو **Arabiste** وكلمة مستشرق يشتغل يختص بدراسة الشرق لغاته، أو آدابه أو حضارته وأديانه .

6-المستشرقون:

هم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي

وينقسمون إلى فئتين، فئة المادحين للحضارة الإسلامية منهم من تأثر بالإسلام وبالحضارة الإسلامية فأسلم، وفئة المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها أغلبهم يقدمون الدراسات للمبشرين لخدمة أغراض التبشير والدوائر الاستعمارية لتحقيق أهداف الاستعمار.

1-التراث العربي والمستشرقون-دراسة عن ظهور الكتاب العربي ونفائس الكتب العربية التي طبعت في الغرب -للدكتور عادل الالوسي-ط1-1422م-2011-صفحة 09.

الفصل الأول: سيميائية اللغة البصرية في الفن التشكيلي.

المبحث الأول :الصورة كمصطلح فني تشكيلي

أ) المفهوم اللغوي

ب) المفهوم الاصطلاحي

1- أصل اللغة غير اللفظية

2- ولادة اللغة البصرية

2-1- تطور اللغة البصرية

3- حقيقة اللغة غير اللفظية

4- سيميائية الفن التشكيلي

4- 1-الاتجاهات السيميولوجية

4- 2-موجز شبكة تحليل "لوران جيرفيرو

4- 3-مصطلح العلامة السيميولوجية

تمهيد :

في هذا الفصل الأول، سيكون حديثنا عن تاريخ اللغة البصرية وسيميائية اللغة غير اللفظية في العمل الفني التشكيلي، وعن دورهما في الاتصال البشري، سنتعرف على الأهمية الكبيرة التي أولاها الإنسان لذلك الفن منذ نشأته على وجه الأرض إلى يومنا المشهود، مروراً بمراحل تاريخية مختلفة وفي بقاع جغرافية متباينة، سنرحل إذن عبر التاريخ ونقطع المسافات شرقاً وغرباً وهدفنا من جولتنا التأكيد على حقيقة مفادها أن الإنسان في كل عصر من العصور وفي كل مصر من الأمصار أولى أهمية كبيرة للغة غير اللفظية(الصورة) التي كانت تختصر في مساحتها الجمال والمتعة والفائدة.

إذا، من سمات عصرنا الراهن أنه «عصر الصورة»، مما يعني هيمنتها وسيادتها لتكون إحدى أهم أدوات عالمنا المعرفية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، والصورة ليست أمراً مستجداً في التاريخ الإنساني، وإنما تحولت من الهامش إلى المركز، ومن الحضور الجزئي إلى موقع الهيمنة والسيادة.

- البصر أهم وأكثر حواس الإنسان استخداماً في اكتساب المعلومات وقوة الصورة تنطلق من مفهوم التصديق والتكذيب، لأن الرؤية البصرية هي أساس التصديق، ولذلك يقال : **"ليس من رأى كمن سمع"**

من هذا المنطلق يمكننا القول بأن الصورة تخاطب كل البشر، المتعلم والأمي، الصغير والكبير، وتكسر حاجز اللغات، لذلك فهي الأوسع انتشارا

وبالتالي فهي تختلف عن الكلمة المنطوقة أو المكتوبة لأنها ترتبط بشيء ملموس ومحسوس ومحدد، والكلمة مرتبطة بشيء تجريدي، غير ملموس ويتصف بالتعميم [1].

من منظور آخر تختلف الصورة عن الكلمة المكتوبة في سهولة التلقي لأن القراءة تتطلب التأمل وإشغال الذهن، أما الصورة فلا تحتاج جهداً ذهنياً كبيراً لتلقيها، فهي بذلك تختلف عن النص المكتوب، الذي يتطلب تفكيك العلاقات القائمة بين الكلمات، بجهد وتركيز وبطء، بينما الصورة تعطي الرسالة دفعة واحدة.

من أجل ذلك انتشر المثل المشهور الذي يقول: "إن الصورة تساوي ألف كلمة".

ونحن إذ نتناول في دراستنا المقدمة موضوع الصورة، فإننا نريد تحديدا تلك الصورة الفنية التي تشكّلها و تلونها يد الفنان المبدع دون غيرها من الصور[2]، و على قدرته الفائقة في توصيل الرسائل و التعبير عن شخصية الفنان و بيئته الاجتماعية و الثقافية و التاريخية التي ينتمي إليها، لذلك كان

---

[1] -فهد بن عبد الرحمان الشميمري -كيف نتعامل مع التربية الإعلامية .

http://www.saudimediaeducation.org

[2] ابراهيم نبهان-صحيفة المثقف-قراءات نقدية-العدد الصادر بتاريخ 16-10-2013

لزاما علينا أن نولي اهتماما أكثر بهذه الوسيلة التعبيرية الاتصالية المتميزة التي تعد من أرقى ما أنتجه الإنسان طيلة مسيرته التاريخية و الحضارية .

المبحث الأول : الصورة كمصطلح فني تشكيلي.

نقصد بها في دراستنا كل عمل فني، أو كل لوحة أنتجها فنان وسكب فيها أفكاره، فهي تتكون من الشكل والمضمون والمادة[1].

أ) تعريف الصورة لغة:

تعرف في اللغة العربية بأنّها الشكل.

يقول الله تعالى: (في أي صورة ما شاء ركبك[2]).

ب) تعريف الصورة اصطلاحا :

الصورة : هي تمثيل شبه أمين لجزء من الحياة الواقعية كإعادة بسيطة للواقع كما تحمل الصورة المقدمات المادية مثل البعد و الوزن و الألوان إلى جانب احتلالها حجما معينا أو مقاسا معينا[3] .

فالصورة علامة بصرية ندرك من خلالها نوعا من محاكاة الواقع وليس الواقع ذاته، ويقصد بالصورة الهيئة وصورة الشيء هي خياله في الذهن أو العقل .

---

[1] مجلة السودان للعلوم والتكنولوجيا –العدد الأول يوليو 2012 – قراءة الصورة التشكيلية .

[2] **القرآن الكريم**– سورة الإنفطار –الآية 04

[3] غيور غي غاتشف –ترجمة نوفل نيوف–الوعي والفن.دراسات في تاريخ الصورة الفنية–سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت –1990–ص11.

1- أصل اللغة غير اللفظية (الصورة):

إن كلمة Imago إغريقية الأصل وتعنى « ما يشبه » أو ما ينتمي إلى حقل التمثيل (La représentation) ويشمل مصطلح الصورة Image مجمل الأعمال البيانية والرسمية والفوتوغرافية والسينماتوغرافية والتلفزيونية وغيرها، فهي بذلك تعد إحدى الركائز الأساسية للغة غير اللفظية[1].

إنّها قبسات من المكان والزمان، **تثبيت لحظة أو فعل**، قصد تخليده.

إنّها لحظة الفعل: فعل الرؤية، أو التفكير أو الحلم.

فهي لا تخاطب حاسة البصر لدى المتلقي فقط، بل تحرك حواسه وأحاسيسه، فدلالات الألوان، على سبيل المثال، تختلف من مخيلة لأخرى . مثلا لو تم عرض مجموعة من الصور علينا: صورة صحن، صورة جثّة فتاة، وصورة طفل وبيده لعبة دب صغير يلهو به، في اعتقادي ستصبح نظرتنا للصحن نظرة غامضة، وحزينة للجثة، ومبتسمة للطفل!

في مفهومها العام، تعد الصورة تمثيلا للواقع المرئي ذهنيا أو بصريا، وهي إدراك مباشر للعالم الخارجي الموضوعي تجسيدا وحسا ورؤية.

[1] عبد الحميد شاكر-العملية الإبداعية في فن التصوير-عالم المعرفة -الكويت-ب.دس-ص14

2- ولادة وتطور اللغة البصرية:

لقد أوجد الإنسان وسائل وطرق عديدة لكي يتمكن من الاتصال بغيره، لكي يعبر لهم عن آرائه وأحاسيسه ومعتقداته ولكي يوصل إليهم نظرته للأشياء التي تحيط به والمواقف التي يواجهها وهذا كله للتأثير فيهم من أجل أن يشاطروه رأيه أو يؤمنوا بمعتقده[1] ، ومع تطور الفكر البشري بدأت الصورة أيضا بالتطور، فشحنت بمعان ودلالات ،سمحت لها بالحفاظ على مكانتها على مر العصور وتعاقب الحضارات ،حيث أدت دور حاسما كوسيط للتواصل خاصة عند الغربيين، كما ارتبط كل ما هو عجيب أو مقدس دوما بالصورة إلى درجة أن أي فعل يهدد بإلغاء الصورة يفضي إلى الشعور بإلغاء الوجود برمته.

لذلك وعلى مدار ملايين السنين عمل هذا المخلوق على تحسين وتطوير تلك الوسائل لجعلها أكثر إقناعا وأسرع وصولاً إلى عقل وأحاسيس المتصل بهم، ورغم تطويره للأساليب الاتصالية المتميزة منذ عهد الكهوف الأولى إلى عصر الأقمار الصناعية ، بقي شديد التمسك بهذه الصورة بل وعمل جاهداً على تطويرها إلى أنْ جعلها تنطق وتتحرك[2].

---

[1] أرنولد هاوز، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا، (مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1969)، ج1، ص(18).

[2] عفيف هبنس، الفن عبر التاريخ، (سوريا، الفن الحديث العالمي ,بدون تاريخ)، ص (14).

للتحدث عن مراحل تطور الصورة سنسافر عبر الزمن وكبداية إلى النبع الأول لفن الصورة، إلى العصور الحجرية الثلاث :القديم، الأوسط والحديث أي ما بين 75.000 سنة إلى 4000 سنة (ق.م).

لقد حدد "ريجيس دوبري" ثلاث مراحل أو عصور لتطور الصورة وهي:[1]

أ-عصر الخطاب:(Logosphère) ونعني به عصور الأصنام وهي تمتد من اختراع الكتابة إلى اختراع المطبعة[2].

ب-عصر الكتابة:(Graphosphère) أو عصر الفن الذي يمتد من المطبعة إلى التلفزيون بالألوان[3].

ج-العصر البصري:(Vidéo sphère)أو عصر الشاشة والتكنولوجيا الحديثة[4].

من بين أهم هذه المفردات والتي مازالت شاهدة لحد ألان تلك الواقعة في مناطق جغرافية أربع :المناطق الجبلية الواقعة شمالي إسبانيا-(Franco Cantabrique)، إسبانيا الشرقية الصحراء الكبرى- وما تضمه من رسومات

---

[1] ريجيس دوبري -حياة الصورة وموتها-ترجمة فريد الزاهي-إفريقيا الشرق-المغرب-2002- ص166

[2] يمينة منخرفيس- مذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان صورة المرأة الجزائرية في الفن الاستشراقي -ص 76

[3] نفسه.

[4] نفسه.

الطاسيلي- ثم أفريقيا الجنوبية: كهوف تحمل جدرانها تفاصيل حياة الإنسان البدائي عبر رسومات بسيطة ورمزية حيناً، ومسرفة في الدقة والواقعية حيناً أخرى[1].

ذلك الإنسان الذي لم يعرف القراءة ولا الكتابة كان يعرف جيداً كيف يعبر عن ما يعيشه و يعتقده عبر الرسم على الصفحات الحجرية للكهوف وهي بذلك بداية فن التصوير.

2-1- تطور اللغة البصرية:

ثم إن هذا الفن مر بمراحل تطورية تعلقت طرداً بتطور ذهنية الإنسان وبمدى إدراكه وتغيره للظواهر التي تحيط به، ففي العصر الحجري الأول كان الإنسان يصور الحيوانات بدقة متناهية يردها الكثير من المختصين إلى عدم قدرته على الإبداع واكتفائه بالتقليد فقط وبعدها وفي مرحلة متقدمة أكثر نجد الإنسان الصياد القديم قد ارتقى بمستوى معيشته فأصبح مزارعاً وراعياً للماشية وبالمقابل أصبح لا يكتفي بتقليد الطبيعة في رسوماته بل أصبح يختصر ما يشاهده في رموز، لقد غدا يصور فكرة ما[2].

---

[1] Primitifs, Ancien Orient, Indo-européens, (Paris, Librairie Aristide Quillet, 1948), P 89.

[2] أرنولد هاوز، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا، (مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1969)، ج1، ص(24)

انطلاقاً من العصر الحجري الحديث يمكننا أن نتحدث بجدية عن الصورة كلغة، هذا ما يؤكده لنا مرة أخرى **أرنولد هاوزر** اذ يقول: "... فلم يعد الفن مجرد تمثيل لشيء مادي وإنما أصبح تمثيلاً لفكرة، ولم يعد مجرد تذكر وإنما أصبح استبصاراً.

هكذا تحولت الصورة بالتدريج إلى لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثيلياً وتضاءل الثراء التصويري (Pictorial)حتى أصبح اختزالا غير تصويري أو يكاد يكون غير تصويري[1] "ويتبادر إلى الذهن سؤال عقب قول " أرنولد هاوزر" : أليست هذه المرحلة المتقدمة من التاريخ البشرية كانت مرحلة ولادة اللغة المخطوطة؟

أو ليس هذا إثبات لا يحتاج إلى نقاش بكون التصوير أو الرسم هو أول لغة خطها الإنسان، أو من الأجدر أن نقول أنها اللغة المخطوطة الأم التي اخترعها الإنسان ؟

الجواب يكون بالإيجاب إذا رجعنا إلى موسوعات علوم الإعلام والاتصال إذ نجد: " أن الاتصال الكتابي أخترع ونشأ على صفحات الجدران الصخرية للكهوف.

فهذه كمثال آخر، حضارة ما بين النهرين العريقة كما لا ننسى الحضارة الفرعونية، هذه حضارات ذات التاريخ الطويل قبل الميلاد، ولا يهم في

---

[1] Bernard Lamizet et Ahmed Silem, Op.cit, Image, P 259.

مضمارنا هذا الحديث عن الوقائع التاريخية والتقلبات السياسية، بل ما يهمنا هو الجانب التقني في الموضوع[1]، فآثار تلك المناطق يعطينا تصوراً عن مدى قوة وغنى ورقي هذه الحضارات، فتلك القصور والمعابد- بقايا القصور والمعابد- تبرز لنا درجة الإحساس الكبيرة بالجمال وذلك نلتمسه خاصة في الدقة الكبيرة المتوخاة في النحت على الصخر، هذا الفن بالذات الذي تميزت به حضارة مصر القديمة و **آشور وبابل***[2] ، فهم قليلاً ما كانوا يرسمون على سطح مستوي لأن ذوقهم الفني كان يميل إلى تجسيد وقائعهم التاريخية ومآثر ملوكهم وبطولاتهم، معتقداتهم الدينية وصور آلهتهم على لوحات جدارية صخرية تبرز منها الأشكال بروزاً وكأنها تهم بالتحرك.

كما سبق الذكر، لا يمكننا الحديث عن الآثار الفنية للحضارات القديمة لذلك اخترنا إبراز الأمثلة التي احتضنها الشرق الأوسط بالتحديد، والسبب في ذلك هو أن الشعوب الشرقية القديمة سبقت من عاصرها من شعوب بقية العالم إلى تسلق سلم التقدم الحضاري بمئات بل بآلاف السنين، وهذا ما أثبته البحوث التاريخية والأثرية.

-

---

[1] – Michel Herubel, Robert Boulanger, Le Grand Livre de la peinture, (Paris, Larousse, 1993), PP.57-123.

*[1]أشهر مثال على الرسومات الجدارية المسطحة والملونة، ذلك النصب من الموزاييك الذي وجد في مدينة (أور) القديمة حوالي 2500 ق.م والذي يمثل انتصار ملك على أعدائه.

خـلاصة:

يمكننا القول أن الإنسان منذ العهد البدائي الطبيعي المتوحش إلى العصر الأول للتمدن والحضارة وعلى مدى آلاف السنين لم يستغن عن الرسم بل طوره، وكيف لا وقد أعتبره أحسن وسيلة للتعبير عن أفكاره ومعتقداته، هذه الوسيلة التي سترافقه لآلاف أخرى من السنين[1].

الصورة تعني ذاكرة مرئية يمكن استدعاؤها مع ما صاحبها من مشاعر وحالة نفسية، فهي لا تعد حالة ثابته فقط لكنها عالم فسيح يمكن أن يدخله الإنسان ليحيا حيوات كثيرة، الصورة قصة فعل السنين معنا، حين تتبدل أحوالها وأشكالها وأدواتها مع تبدل عمرنا وأحوالنا، لكنها تظل شاهداً علينا خالدة في قلوبنا، تحكي ما كان، "وتحفر في النفس لنا ولمن بعدنا أن ذات مرة في دنيا الناس رجال هذه حكاياتهم وتلك آثارهم"[2].

لم تكن الصورة يوماً توقيفاً للحظة لكنها حياة مرت علينا نتأملها وأحاسيس فارقتنا نستدعيها.

[1] دلالة الصورة الفنية-ايمان عفان- أول لغة مخطوطة ص50.

[2] صحيفة البيان-د خالد الخوجة-العدد الصادر بتاريخ 14 فيفري 2017

3- حقيقية اللغة غير اللفظية:

تكون الصورة ذات طبيعة لغوية تارة، و مرئية بصرية تارة أخرى. وبتعبير آخر، تكون الصورة لفظية ولغوية وحوارية، كما تكون صورة بصرية غير لفظية، وللصورة أهمية كبرى في نقل العالم الموضوعي، بشكل كلي، اختصارا وإيجازا، وقد صدق الحكيم الصيني **كونفشيوس** الذي قال: "**الصورة خير من ألف كلمة**"[1].

بداية نجد كلمة "المصور" من أسماء **"الله" عزوجل** الحسنى ، وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء فيها صورة خاصة ومتفردة يتميز بها[2]، ومن تعاريف الصورة في معاجم اللغة أنها تعني الشكل والنوع والصفة والحقيقة، وهي بذلك تتنوع وتختلف من الناحية الإدراكية الخارجية الملموسة أو العقلية الداخلية المحسوسة.

الفرع الأول:

أ) اللغة البصرية التشكيليـة:

يقصد بها في هذه الدراسة :العمل الفني وروحه، وعواطفه، عن طريق وسائل وأدوات تلوين وأجهزة مختلفة.

---

[1] قدور عبد الله ثاني- سيميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:119

[2] يمينة منخرفيس –المرجع السابق –ص75

وهي مجموعة الأعمال الفنية كالرسم و التصوير الملون أو غير الملون والنحت، معبرة بذلك عن الطبيعة أو أفكار أو أحاسيس الفنان، فهي تتكون من الشكل والمضمون والمادة، وتأتي كفعلٍ ايجابي لتفاعلهم معًا .

تاريخيًا لازمت الصورة الإنسان، منذ بداية عهده بالحياة، وشكل ذلك بعدًا إنسانيًا، في تطور نشاطه الفني، وفي تعدد معانيها ودلالاتها، كما إنها لم تعد مجرد نسخة أو محاكاة، و هو بذلك يحول الصورة الذهنية إلى صورة مرئية ملموسة يعتمد فيها على تشكيل وتنظيم عناصر معينة داخل اللوحة[1]، والصورة التشكيلية أو صور اللوحات تذهب إلى معنى تشكيلي يمكن فهمه بقراءات مختلفة حسب اختلاف ذهنية المتلقي.

ب) الصورة البصرية المتحركة:

إن الصور المتحركة ما هي إلا عبارة عن صور ثابتة، تم تحريكها بزمن محدد حتى نحصل على الحركة كما هو الحال في أفلام الكرتون المتحركة، فيتبادر لنا أنها صور حية.

ج) الصورة البصرية الفوتوغرافيــة:

تعد الصورة الفوتوغرافية صورة مختصرة للواقع الحقيقي مساحة وحجما وزاوية ومنظورا وتكثيفا وخيالا، ويعني هذا أن الصورة الفوتوغرافية

[1] قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:107

باعتبارها صورة واصفة للواقع، هو عبارةٌ عن مزيجٍ معين من أنواعٍ مختلفة من تقنيات التصوير التي توفر للمشاهد رسالة أو مشهداً في قالبٍ فني وأهم "العوامل التي تساعد في الحصول على أفضل الصور هي؛ الزاوية الصحيحة، والإضاءة المناسبة، والعدسة الجيدة، ولا بد من تغيير العدسات حسب الإضاءة ونوع الصورة المراد التقاطها"[1].

الفرع الثاني:

الصورة البصرية الذهنية:

هي كل صورة فعلية التي تتكون في أذهان الناس عن المنشآت والمؤسسات المختلفة، وقد تتكون هذه الصورة من التجربة المباشرة أو غير المباشرة وقد تكون عقلانية أو غير رشيدة، وقد تعتمد على الأدلة والوثائق أو الإشاعات والأقوال غير الموثقة، ولكنها في النهاية تمثل واقعًا صادقًا بالنسبة لمن يحملونها في رؤوسهم، وعادةً ما تبنى الصورة الذهنية على خبرات الإنسان السابقة منذ لحظة ميلاده باحتفاظه لصورة ذهنية عن الأشياء والأشكال والألوان ودرجات الإضاءة[2]، كما تشير إلى التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر ، أو هي احياء أو محاكاة

[1] مقالات عن التصوير الفوتوغرافي-غدير شمس الدين - آخر تحديث :12:11 ، 18جانفي 2016

[2] سعدية محسن عايد الفضلي-ثقافة الصورة ودورها في لإثراء التذوق الفني لدى المتلقي-دراسة لنيل شهادة الماجستير-قسم التربية الفنية-جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية -2010- ص13

لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة ، وهي أيضاً استرجاع بشكل مباشر أو هي تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو الشم أو التذوق .

الفرع الثالث:

اللغة البصرية الإيحائية (الصورة الأدبية):

عندما نقول: ينطلق الأسد، فهذه استعارة، و كلاهما يشتركان في معنى الشجاعة[1].

ويعني هذا أن الصورة الأدبية هي تحويل لما هو مألوف ومستعمل من الكلام إلى لغة مجازية واستعارية وبلاغية خارقة لما هو عاد[2].

ومن ثم، فالصورة الأدبية هي عملية تحويل وتغيير وتعويض واستبدال فهي تضع المحسوس في قالب الملموس وتقرب المعنى إلى المتلقي وتزيد المعنى رونقا وجمالا.

[1] جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م.

[2] المرجع السابق

4- سيميائية الفن التشكيلي:

هي علم الإشارات أو العلامات، فهو العلم الذي يتعدى كل منطوق إلى ما هو بصري، مصطلح "السيميولوجيا مرتبط بالفرنسيين" أما المدرسة الأمريكية تطلق عليه اسم "السيميوطيقا" Sémiotique ، وإذا كان السيميولوجيون أو السيميطيقيون يبحثون عن (الدلالة أو المعنى) في جوف الأعمال الفنية، فالمقابل علماء المنهج السيميولوجي يبحثون عن ما وراء السطور وعن الدلالات الكامنة والخفية والمقاصد المبيتة في طيات العمل الفني.

كل من التسميات السابقة تنحصر في كل ماهو تحليلي و تطبيقي أما إذا أردنا أن نتكلم عن المغزى من العلامات والإشارات، فهنا من الأفضل أن نستخدم مصطلح سيميولوجيا، التي يرجع الفضل في تسميتها إلى عالم اللسانيات" فرديناند دسوسور" Ferdinand Du الذي يقول: " يمكن الآن تصور علم جديد يدرس العلامة والقوانين التي تحكمها، واللسانيات ماهي إلا جزء من هذا العلم العام"[1]

وإذا كان الأنجلوسكسونيون يعتبرون السيميولوجيا إنتاجا أمريكيا مع تشارلز **ساندرز بيرس** في كتابه" كتابات حول العلامة"، فإن الأوربيين

1أنظر الموقع

:http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%85%D9%8A%D9%88%D8%B7%D9%8A%D9%82%D8%A7

يعتبرونها إنتاجا فرنسيا مع **فردينان دوسوسير** في كتابه " محاضرات في علم اللسانيات" سنة 1916م، وإذا كانت السيميولوجيا الأمريكية مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية الأنطولوجية (الوجودية) والرياضيات، فإن السيميولوجيا الفرنسية مبنية على الدرس اللغوي واللسانيات[1].

-ومنذ الخمسيات من القرن العشرين أصبح النهج السيميولوجي سائدا في ميادين علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا والميثولوجيا والفن والأدب والمسرح[2].

4-1-الاتجاهات السيميولوجية:

وتتعدد الاتجاهات السيميولوجية ومدارسها في الحقل الفكري الغربي، لكن يمكن اجمالها في: سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة.

أ) سيميولوجيا التواصل:

باختصار يمكن القول بأنها مجموعة من الوسائل اللغوية أو البصرية التي من شأنها أن تؤثر بأي طريقة في المتلقي مباشرة، ونميز نوعان من السيميولوجيا التواصلية ، الأول نوع لفظي مثل أي لغة أما الثاني فغير لفظي أو بعبارة أخرى بصري مثل اللافتات المختلفة.

---

[1] https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=علم_العلامات&oldid=22841702

[2] عدد من المؤلفين : سيمياء مسرح براغ . ترجمة أرمير كورية. منشورات وزارة الثقافة . سوريا. ص: 4.3

ب) سيميولوجيا الدلالة:

أول الدراسات في هذا الصدد هي دراسة **رولان"بارث[1]"** وهي مستقاة على شكل ثنائيات من اللسانيات البنيوية وهي: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقرير والإيحاء(الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية).

فكل شيء حسبه لديه دلالاته الخاصة، وهو أيضا يرى أن" اللسانيات ليست فرعا من السيميولوجيا، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات"[2]، فجميع الأشكال والأحجام والظواهر والألوان له دلالة خاصة تختص به دون غيره، فالسيمياء في جوهرها علم العلامات والرموز والدلائل.

ج) الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقيا:

هما سيان تقريبا كما رأينا، غير أن السيميوطيقا هي لعبة الهدم والبناء، تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة، ولايهم السيميوطيقيون نوع المضمون ولا من رسم اللوحة، بل ما يهمهم كيف عبر عن اللوحة، أي شكل اللوحة، ومن هنا فالسيميوطيقا هي دراسة لأشكال المضامين، وتتبني على خطوتين إجرائيتين وهما: التفكيك والتركيب.

---

[1] أحمد يوسف – السيميائيات الواصفة –منشورات الإختلاف–الجزائر–2005–ص135

[2]–لالاند أندريه: موسوعة لاند الفلسفية. ترجمة: خليل أحمد خليل. منشورات عويدات. بيروت – باريس: ج: 2. ص: 1265

خـــلاصة:

إن اللغة اللفظية هي لغة ذات علامات كما أنها قابلة بأن تصف نفسها، وهذا ما لا يتوفر في العمل الفني .

من المؤكد أن العمل الفني يحتوي على لغة، لكن السؤال المطروح بهذا الخصوص هو: ماهي حروف هذه اللغة؟

يقول" لوران جير فيرو " : "قد تبدو مرحلة الوصف مرحلة ساذجة و لكنها تبقى أساسية[1]، فانطلاقا من العناصر المتحصل عليها عن طريق الوصف البسيط يبنى التحليل الناجح" **فأن تصف معناه أنّك تفهم"**

إن جوهر الدراسة السيميولوجية لفن التصوير أو الصورة أو لغيرها من النظم الاتصالية حسب Barthe هو الكشف عن الإيحاءات و المعاني المتخفية من ورائها أي الرسالة الحقيقية التي تود إيصالها، و هذا ما نسعى إليه في دراستنا[2].

---

[1] عبد الرحيم جيران: (مفهوم السيميائيات)، الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد 1، السنة يناير 1988، ص:7.

[2] دليلة مرسلي و آخرون ، مدخل إلى السيميولوجيا ، تر :عبد الحميد بو رايو، سلسلة الدروس في اللغات و الآداب ، الجزائر ، ديوان المطبوعات ، 1995 ص24

4-2- موجز شبكة التحليل المعتمدة (حسب لوران جيرفيرو)

الوصف :

1-الجانب التقني:

-اسم صاحب اللوحة وتاريخ ظهورها.

-نوع الحامل و التقنية المستعملة.

-الشكل و الحجم.

2-الجانب التشكيلي:

-عدد الألوان و درجة إنتشارها.

-التمثيل الأيقوني / الخطوط الرئيسية.

3-الموضوع:

-علاقة اللوحة/العنوان.

-الوصف الأولي لعناصر اللوحة(القراءة التعيينية).

بيئة اللوحة :

1-الوعاء التقني و التشكيلي الذي وردت فيه اللوحة

2-علاقة اللوحة/الفنان

القراءة التأويلية أوالتضمينية

* **نتائج التحليل** هي المرحلة الأخيرة في شبكة تحليل جيرفيرو[1] و هي الحوصلة التي نخرج بها بعد دراستنا لمختلف خطوات التحليل السابقة.

4-3- مصطلح العلامة السيميولوجية:

لا نتطرق إلى موضوع السيميائيات دون التعريج على مصطلح العلامة السيميولوجية ، فهي علم الإشارات والعلامات (الأيقونة- الرموز- الإشارات)، فعند فرديناند دوسوسير تتكون العلامة من الدال(الصورة الصوتية) والمدلول(الصورة الذهنية القابعة في العقل البشري).

ويمكن تقسيم العلامة السيميائية على قسمين[2] :

أ - **العلامات اللفظية:**(اللغة- الشعر- الرواية -....).

ب - **العلامات الصورية:**(الأزياء- الأطعمة والأشربة- الإشهار- علامات المرور- الفنون الحركية والبصرية كالسينما والمسرح والتشكيل ...).

خـــلاصة:

حاولنا تقديم نظرة مقتضبة ووجيزة عن السيميولوجيا في الفن التشيكيلي وما ارتبط بها من مفاهيم، فهي كل علم يهدف إلى الكشف عن المعاني الخفية والدلالات الكامنة و الأبعاد الضمنية وراء كل عمل فني.

---

[1] انظرد. عبد الرحمن بوعلي: محاضرات في السيميولوجيا، ألقيت على طلبة الإجازة بكلية الآداب بوجدة سنة 2005-2006.

[2] رولان بارت: مبادىء في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للنشر بالدارالبيضاء ، ط1، 1986.

ب/ الفصل الثاني: تمظهر المرأة الجزائرية في اللوحات الاستشراقية.

المبحث الأول: حقيقة الاستشراق

أولا- مفهوم الاستشراق(العام والخاص)

أ-المفهوم اللغوي للفن الاستشراقي

ب- الفهوم الاصطلاحي للفن الاستشراقي

ت-مستويات الاستشراق

ث-الفن الاستشراقي عند المفكرين العرب

ج- الفن الاستشراقي عند المفكرين الغربيين

ح- البدايات الأولى للاستشراق على الصعيدين الديني والإيدولوجي

المبحث الثاني: تمظهر المرأة الجزائرية في اللوحة الاستشراقية

1-الجزائر هوية وتاريخا وسموم البعثات الاستشراقية

1-1-سمات الاستشراق الفرنسي

2-حقيقة المرأة الشرقية بين الاعتقاد و المفروض

3-افتتان الفنانين المستشرقين وتأثرهم بالمرأة الجزائرية

4-المرأة الجزائرية في صميم الفن الاستشراقي

تمهيد

بمشيئة الله سوف نتناول في فصلنا هذا ظاهرة معقدة شكلتها عوامل عدة، دينية استعمارية و سياسية وغيرها، وهي اتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة و حضارة الإسلام بصفة خاصة هي الاستشراق.

ظاهرة "الاستشراق" عموماً، وفي الفن التشكيلي بالخصوص تحديدا بالجزائر تعدّ من أكثر الظواهر الثقافية والتاريخية والسياسية، مدعاة للتأمل والدراسة والبحث، إذ تعتبر ظاهرة قديمة جديدة لم تنته "جدليتها" بعد، لأنها تمسّ حضارتين إلى درجة الصدام هما: الحضارة الشرقية والغربية.

لعب المستشرقون دورا مهما في احتلال الجزائر لأنهم رسل المهمات القذرة ولعبوا على جميع الأوتار من أجل استيطان الجزائر مدة طويلة حتى تكون أندلسا جديدة[1]، أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الإسلامي، وأن تبتلعها الصليبية الأوروبية ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنسى لحظة ولا تكف، واستخدمت كل الوسائل التي لا تعرف البشرية أقصى ولا أمكر ولا أفتك منها.

من الجوانب التي نشط فيها الاستشراق الفرنسي في المجتمع الجزائري الحياة الأسرية أو بنية الأسرة وعلاقة الرجل والمرأة، وعمل على تشويه مكانة

[1] (مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية)جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي العدد 17 ،سبتمبر 2016ص 125-136

المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام لها وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة، ودعاها إلى التمرد داخل الأسرة و على النظام و الخروج باسم الحرية لأن المرأة إذا استعممت في الخير الأم مدرسة إذا أعددتها أعدت جيلا طيب الأعراق و إذا استعلمت في الشر آتت على الأخضر و اليابس.

كان الاستشراق ممزوج بالاستعمار والتبشير مما جعله أكثر تعصبا ضد العرب و الإسلام مما جعل الجزائر تعاني كثيرا وخاصة على مستوى الحياة الاجتماعية لأنه كان استدمارا لكل شيء، استدمارا للأرض والإنسان ماديا ومعنويا، ورغم الجهود المبذولة من طرف الدعاة و رجالات الإصلاح و المثقفين والفكر لزلنا نصلح ما أفسده الاستشراق الفرنسي.

ككل ظاهرة أو نشاط أو حركة لها انعكاسات على المجتمع و لها أثار على الحياة الاجتماعية[1] ، نحن بصدد تشخيص النشاط العدائي الذي لحق بالجزائر و المرأة الجزائرية تحديدا من طرف الاستشراق والمستشرقين.

بصدد دراسة وتشريح حركة فكرية غربية جاءت في مجملها مناهضة لكل ما يمد للإسلام بصلة، هي خلاصة مجموع الدراسات التي قام بها الغربيون لدراسة تراث الشرق، وخاصة كل ما يتعلق بتاريخه و ولغاته و وآدابه و وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته[2].

---

[1]-ابراهيم مردوخ-مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر وزارة الثقافة -الجزائر-2005- ص59.

[2]-زينات بيطار-الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي-عالم المعرفة-الكويت-1992-ص29

المبحث الأول : حقيقة الاستشراق

أولا- مفهوم الاستشراق: (Orientalisme)

الاستشراق هو دراسة علوم الشرق وأحواله ومعتقداته، وديانته وتركيبته البشرية والعمرانية وحتى الطبيعية ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمم ومجتمعاتها وعاداتها، وعلومها وأفكارها[1].

إنه ظاهرة معقدة شكلتها عوامل عدة، لذلك اختلف الباحثون في إيجاد تعريف موحد للاستشراق، رغم أن هذا الاختلاف شكلي وجزئي، إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين، ويعود ذلك إلى تصور كل واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه، وعلى كل حال فهو في صورته العامة:

عبارة عن اتجاه فكري غربي يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافية والفكرية والدينية والاقتصادية والسياسية كافة[2]، لغرض التأثير فيها، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

---

[1]Lynne Thornto- **les orientalistes peintre voyageurs** – traduction Jean de la Hogne- édition ; ACR.Roche couleur – 1994- Paris –pp- 4-3

[2]-مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية -المرجع السابق

وقد عرّفه إدوارد سعيد[1] في كتابه "الاستشراق": "بأنه أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله وممارسة السلطة عليه".

كما يمكن تعريف الاستشراق بأنّه عبارة عن قيام علماء غير مسلمين من الغرب بإجراء دراسات ذات أبعاد أكاديمية تركز على دراسة الدين الإسلامي ومختلف جوانب حياة المسلمين من حيث التاريخ والشريعة، والحضارة وتستهدف دراساتهم المسلمين من العرب وغير العرب.

أ- **المفهوم اللغوي للفن الاستشراقي :**

يقال **استمراض - استغفال**، أي إظهار أمر غير موجود كالمرض والغفلة، نرجع لكلمة استشرق فإذا كان اللفظ " است" تعني إظهار أو إبراز ما كان مخفيا سواء علم أو لم يعلم، فحين لحقت به كلمة " شرق" فأصبحت تعني إظهار وإبراز ما كان موجودا في بلاد الشرق من علوم وأفكار، وما جادت به حضارات الشرق بصفة عامة، أو طلب ما فيه من أفكار وعلوم ومعارف[2].

إذا نظرنا لكلمة استشراق باللغة الأجنبية وهي "Orientalism"، فنجد في اللغة اللاتينية أن كلمة "Orient" تعني يتعلم بحث عن أمر ما، وفي

---

[1]- إدوارد وديع سعيد (1 نوفمبر 1935 القدس - 25 سبتمبر 2003) مُنظر أدبي فلسطيني وحامل للجنسية الأمريكية- من الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية .

[2]الاستشراق ماهيته-فلسفته- مناهجه للدكتور محمد قدور تاج جامعة ابن خلدون/الجزائر ط1- 2014م-1435هـ-ص116

الألمانية "Sich Orientiern" تعني جمع معلومات أو معارف من مصدر ما، أما باللغة الفرنسية" Orienter" تعني التوجيه والإرشاد[1].

ب- المفهوم الاصطلاحي للفن الإستشراقي:

اصطلاحا الاستشراق "Orientalisme" يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي[2]، وعّرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، وأحياناً يقصد به:

"أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والإيديولوجي بين الشرق والغرب".

ت) مستويات الاستشراق:

إدوارد سعيد[3] قسم الاستشراق ومن عمل في حقله إلى ثلاث مستويات:

---

[1] -Le petit Larousse(Français-Français)édition la rousse –paris-2006- p567

[2]- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة 1997 ص 18.

[3]- إدوارد وديع سعيد (1 نوفمبر 1935 القدس - 25 سبتمبر 2003) مُنظر أدبي فلسطيني وحامل للجنسية الأمريكية- من الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية .

• **المستوى الأول:** التعريف الأكاديمي للاستشراق وهو الذي يدرس في الجامعات والمستشرق هو كل من يقوم بتدريس لغات الشرق وعلومه أو الكتابة عنه أو بحثه، وهذا التعريف هو التعريف الشائع بين أوساط المثقفين.

• **المستوى الثاني:** أسلوب من الفكر قائم علي تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب وهذا النوع قائم لإطلاق بعض الأحكام والنظريات عن الشرق ويدخل في إطاره الأعمال الفنية التي بها صور الشرق.

• **المستوى الثالث:** الاستشراق أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة علي الشرق وبسط السيادة عليه، هذا النوع من الاستشراق ناتج عن قوي سياسية إمبريالية.

وعند هذا الأقوال والآراء وجب علينا أن نصحح بعض الأغاليط حول مفهوم الاستشراق، أولا يذهب بعض الدارسين منا ومنهم أن الاستشراق يعنى باللغة العربية، وهذا خطأ لأن اللغة وسيلة وليست غاية[1]، فلفهم ودراسة حضارات وفكر الشرق وعلومه ومجتمعاته وجب تعلم لغاتهم، فهي ليست مقصودة في ذاتها بل وسيلة تسهل البحث والتنقيب، فذلك توهم لأن المستشرقين يعنون بكل ما هو موجود في الشرق من الحضارات: الإسلامية الهندية، اليونانية، اليابانية، الصينية...، فاللغة العربية وحدها لا تكفي لدراسة هذه المجتمعات والحضارات فلكل واحد منها لغته، يمكن أن نستثني أمرا

[1]– الاستشراق والمستشرقون "ما لهم وما عليهم"، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع ط1، الرياض 1420هـ، 1999م

واحدا وهو أن جهودا انصبت على علوم اللغة العربية وغيرها لاستنباط أحكام منها(دخلت الكثير من المفاهيم اللغوية العربية إلى أوربا عن طريق الفلسفة العربية [1]، التي نقلت إليهم الكثير من كتب العلوم من القرن العاشر والحادي عشر الميلادي).

ث- الفن الاستشراقي عند المفكرين العرب:

إن موقف المفكرين العرب والمسلمين من الاستشراق هو موقف متباين متناقض فمنهم من يرفضه جملة و تفصيلاً بوصفه "عدو للإسلام والمسلمين" ومنهم من يؤيده ويتحمس له.

يقول **ابن خلدون:** " المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه و نحلته و سائر أحواله و عوائده"، فإن سكان الأندلس الأصليين سعوا لتقليد المسلمين واهتموا بما عندهم من دين، عقيدة، عادات وتقاليد، علوم، معارف وألبسة وأطعمة، فسعوا لنهل منها، فكانت بداية الاستشراق وأول ما عمدوا إليه هو تعلم اللغة العربية حتى تكون وسيلتهم لتحقيق أهدافهم السابقة.

في دراسة محمود حمدي زقزوق للاستشراق في كتابه: (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) بيان لما في المنهج الاستشراقي من الانحرافات عندما يدرس تاريخ الإسلام وحضارته بصفة خاصة[2]، (في حين

---

[1]-الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مازن بن صلاح مطبقاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1416هـ، 1995م .

[2]**محمود حمدي زقزوق** -المرجع السابق- ص19

أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوسية وغيرهما يكونون موضوعيين في عرضهم لهذه الأديان، فالإسلام فقط من بين كل الديانات التي ظهرت في الشرق والغرب هو الذي يهاجم، والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعًا هم الذين يوصمون بشتى الأوصاف الدنيئة).

الاستشراق سيف ذو حدين من حيث تأثيره على ثقافة العربي وشخصيته الثقافية، ولقد أسهم المستشرقون إسهاماً واضحا في إحياء التراث العربي الاسلامي.

انقسم المستشرقون من حيث موقفهم من التراث العربي و الإسلامي إلى فريقين : فريق ينتقد بشدة و يشوه وفريق ينصف ويمدح، ويقول "مالك بن نبي": **إن الفكر الإسلامي أصيب بصدمة من الثقافة الغربية** أدت إلى مركب نقص، ولقد نتج عن ذلك انقسام المفكرين العرب والمسلمين إلى معسكرين:

أحدهما: أصيب بشلل ثقافي ودفعه مركب النقص إلى الدعوة إلى تمثل الفنون والعلوم والأشياء الغربية حتى اللباس.

والآخر: يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز من الماضي يعزي بها النفس.

قد ركز بعض المستشرقين على وصف العربي بعدم القدرة على الإبداع كما ركز بعض المستشرقين على إبراز مجالات الخلاف والتفرقة المذهبية

والفكرية وجوانب التطرف في التراث العربي الإسلامي[1]، إن مثل هذه التصورات للحضارة الإسلامية والعربية ودورها في التاريخ الإنساني تترك بدون شك آثاراً سلبية على شعور الإنسان العربي نحو ذاته وتراثه ، بالإضافة إلى رسم صورة مشوهة له ولتراثه في الخارج.

ج- الفن الاستشراقي عند المفكرين الغربيين:

نسج الخيال الغربي حكايات وقصصاً أقرب لعوالم مشتهاة منها إلى الواقع، ووضع لوحات ساحرة عن الشرق الذي يعني الأرض السعيدة، إذا كان الاستشراق قد أخذ أبعادا مختلفة لدى المثقفين العرب والذين نظروا إليه برؤى فلسفلية، (فان المثقفين الغربيين لديهم نظرتهم الخاصة أيضا حيث أن لكل مثقف غربي تعريفه الخاص به[2])

كما رأى آخرون أن هذا الشرق هو مهد الحضارات ومنبت الفكر وأتضح لأوروبا المسيحية في القرن الثاني عشر وما بعده أن الصراع العسكري مع الإسلام لا يكفي لإسقاطه فلا بد من فهم مضمونه ومحاولة نقضه، فكانت أهداف الأوروبيين في إقبالهم على دراسة الإسلام ضرب إرادة

---

[1]- أنظر : د. أنور عبد الملك صـ 70- مجلة (الفكر العربي) عدد 31-فبراير , مارس 1983 .
-و د. فؤاد زكريا مجلة (فكر) صـ38 – العدد 10 1986م
و" الاستشراق " د. إدوارد سعيد صـ 337وما بعدها – لندن- روتلردج وكيجان عام 1978م .

[2]أنظر : " هموم الأمة الإسلامية " د. حمدي زقزوق صـ145- مصدر سابق , وله أيضاً في

المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه في صحة عقيدته[1]، وهذه حقا هي حقيقة الفن الاستشراقي التي لطالما فندها المفكرون الغربيون.

ج1/ المستشرق حسب الفكر الغربي :

المستشرق صفة عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه، أما الأديب "**ألبرت ديتريش**" فيعرف المستشرق بأنه "ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتّى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق.

يري كثير من الباحثين أن" **جيرار دي أورلياك**" الفرنسي هو أول من استشرق ، وقد ظلّت حركة الاستشراق موضع شكّ لدى الكثير[2]، وبسبب هذا الغموض انقسم الناس نحوها إلى فريقين:

الأول: ينظر إلى المستشرقين بعين الاحترام.

والثاني: ينظر إليه على العكس من ذلك، لأنّه كان من بينهم أُناس مهّدوا للاستعمار الغربي، وكانوا أداة لتسلّط الغرب على الشرق، كما لا يخفى أنّ منهم جماعة دفعهم شوق التعرّف على الشرق وأسراره، وتحمّلوا في سبيل ذلك كثيراً من الصعوبات والمشاق.

---

[1] أنظر : " الاستشراف في الفكر الغربي " د. محسن جاسم الموسوي – مكتبة الأسرة هـ . م . ع للكتاب القاهرة 2005م

[2] – إسماعيل محمد : الاستشراق بين الحقيقة و التضليل : مدخل علمي لدراسة الاستشراق، الطبعة الثالثة ، القاهرة، دار الكلمة للنشر، 2000

وعلى أيّ حال مهما كانت الأغراض والدوافع التي دفعت للاستشراق، فإنّ الاستشراق شيء، والمستشرقين شيء آخر[1].

ح- البدايات الأولى للاستشراق على الصعيدين الديني والإيدولوجي:

إن المتمعن في تاريخ الاستشراق سيجد أن جذوره تمتد إلى الصدر الأول من الإسلام، متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهدًا من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالطعن فيه والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجنون والساحر والشاعر[2]، يقول الله تعالى: **{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}** [الأنبياء: 25]

وقد اتخذ هؤلاء سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة يحرفون آياته وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون فيه بالطعن في الوحي نفسه.

1/ تطور الاستشراق ودوافعه:

لقد بدأت الكتابة عن الشرق العربي الإسلامي في أوروبا حيث سارع رجال اللاهوت المسيحي في أوروبا مثل(يوحنا الدمشقي) بدراسة الإسلام لإبعاد أبناء دينهم عنه، أما الاستشراق المنظم فيختلف الباحثون في تحديد

---

[1]- خيري منصور : الاستشراق والوعي السالب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2000 ، 316 صفحة 1

[2]إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية : بحث في الجذور التاريخية ، عمان ، دار حنين ، 1992.

بدايته، فمنهم من يرى انه بدأ في القرن العاشر الميلادي بالراهب الفرنسي(Jerhart de Oraliac)[1] بينما رأى "رودي بارت "إن بدايات الدراسات الإسلامية و العربية في أوروبا تعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي الذي تمت فيه ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة.

وقد مر الاستشراق بمراحل مختلفة يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل متميزة:

✓ **المرحلة الأولى:**

وتمتد من بداية الاستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوروبية وكانت كتابات فردية غير منظمة واتسمت بالعداء للإسلام، وكان الاستشراق في هذه المرحلة مظهراً للصراع الديني والإيديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرقي الإسلامي[2].

✓ **المرحلة الثانية:**

أثرت في مفهوم الاستشراق عدة عوامل أهمها النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وحركة

---

[1] أبو الحسن عي الحسني الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1983.

[2] إدوارد سعيد : الإستشراق : المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، نقله إلى العربية كمال أبو ديب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، 1981 ،ص 368.

التنوير، فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية من ذي قبل.

✓ **المرحلة الثالثة :**

من القرن التاسع عشر الميلادي حتى وقتنا هذا وشهدت هذه المرحلة عدة تطورات في مفهوم الاستشراق وحركته، فقد عاد طابع العداء ليغلب على نظرة الغرب للشرق، وكانت أهم العوامل التي أسهمت في تنمية هذه النظرة لعدائية هي المصالح السياسية والاقتصادية والغربية في الشرق.

2/الإرهاصات الأولى للاستشراق:

ليس هناك شك في أن الانتشار للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصراني إلى هذا الدين ،ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته .

ومن بين العلماء النصارى الذين أظهروا في وقت مبكر اهتماما بدراسة الإسلامي – **لا من أجل اعتناقه** [1]، وإنما من أجل حماية إخوانهم النصارى منه – كان العالم النصراني يوحنا الدمشقي (676- 749هجرى)، ومن بين مصنفاته في هذا الصدد كتاب: (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات النصارى في جدل المسلمين) .

[1] أحمد عبد الحميد غراب : الإستشراق ؛ رؤية إسلامية ، الطبعة الثانية ، لندن ، المنتدى الإسلامي ، 1411 هـ

ولكننا لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية الاستشراق فيوحنا الدمشقي كان رجلا شرقيا عاش في ظل الدولة الأموية [1]، وخدم في القصر الأموي ،ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين ،ونقصر حديثنا على العلماء الغربيين .

3/ الصعيد الديني والإيديولوجي للاستشراق:

وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامي والنصراني في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في المرحلة الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والإيديولوجي[2]، فقد كان الإسلام كما يقول (ساذرن southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا على المستويات كافة .

---

[1] يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العاشر ، ترجمة و تحقيق عمر لطفي العالم ، دمشق ، دار قتيبة ، 1996، ص368.

[2] صادق جلال العظم : الاستشراق والاستشراق معكوسا ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981 ، ص56 .

4/ خروج الاستشراق إلى العلن:

كان هناك في القرن الثالث عشر أيضا بعض المحاولات للتعرف على الإسلام بقدر من الموضوعية [1]، ولكن مع الهدف الواضح والمعلن وهو محاربة هذه التعاليم الإسلامية.

أما الاتجاه الأول فقد كان اتجاها لاهوتيا متطرفا في جدله العقيم ناظرا إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية [2].

الاتجاه الثاني كان نسبيا بالمقارنة إلى الاتجاه الأول أقرب إلى الموضوعية والعلمية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ولكن الاتجاه الخرافي ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده حتى يومنا هذا.

---

[1] السيّد رزق الهاجر: الموضوعية : وجودها وحدودها في الدراسات الإسلامية لدى المستشرقين القاهرة ، دار الثقافة العربية ، 1988.

[2] أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 1985 ، ص216.

المبحث الثاني : تمظهر المرأة الجزائرية في اللوحة الاستشراقية.

تمهيد:

الجزائر ذات الموقع الجغرافي المميز و التاريخ المتنوع من بين المناطق التي عرفت توافدا كبيرا و مبكرا لتيار المستشرقين ، فهي البلد المتمركز في البوابة الجنوبية الكبرى التي تنفتح على المتوسط و على أوروبا و بلاد المغرب، بين تونس نحو الشرق الأوسط و المغرب الأقصى نحو إسبانيا و أوروبا عموما.

1- "الجزائر وسموم البعثات الاستشراقية:

اهتم المستشرقون الفرنسيون الذين توجهوا إلى الجزائر "بالشرق الهوية" أكثر من الشرق الجغرافيا.

الجدير بالملاحظة أن فرنسا في استعمارها للجزائر كانت تراهن على مستشرقيها و دورهم أكثر مما كانت تراهن على جيوشها، لأن الاستشراق كان الجناح الفكري للتوسع السياسي و الاقتصادي.

خاصة و أن نهضة الغرب العلمية والصناعية والحضارية جعلته في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعه، وبحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعه فكان لا بد له أن يجد البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاته.

تأثر المستشرقون في الجزائر بعدة مشاهد مثل تصوير الدور، المدن بمشاهدها العامة الواسعة و الضيقة و المدينة العتيقة و الموانئ و المنشآت كما ركزوا على تفاصيل الملابس والأزياء، فنرى في صورهم بائعي السجاد، وازدحام الناس في الأسواق[1].

تبقى هذه الصور رغم كل الجدل القائم بين عالم الشرق و الغرب والبحث الذي لا ينتهي حول خلفيات الاستشراق، إرثا متنوعا استطاع أن يقدم صورة الجزائر العريقة في سرد تاريخي استطاع أن يفشي أسرارا عميقة لنفسية المستشرقين ويثير سحرا خاصا وحنينا للماضي المختلف بأوضاعه وحالاته لأنه يعكس رؤية بصرية متنوعة الأبعاد.

1-1- سمات الاستشراق الفرنسي:

تميز الاستشراق الفرنسي بسمات عديدة بالجزائر ذكرها أحد الباحثين وأنقلها هنا على سبيل الاختصار:

1. تتركز دراسات الفن الاستشراقي بالجزائر حول ثلاثة محاور: المحور الديني، والمحور السياسي، والمحور الاستعماري.
2. كان لتأسيس المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية في بلاد الشرق عامة وفي الجزائر تحديدا تأثير كبير في فَرْنَسةِ عدد من هذه البلاد خاصة تلك التي استعمرتها فرنسا.

[1] انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، (القاهرة: دار المعارف)، بدون تاريخ نشر، 1/ 138.

3. امتاز فن الاستشراقي الفرنسي في الجزائر بالتخصص؛ فإن معظم أفراده يتخصص كل منهم في جانب معين من جوانب البحث والدراسة.
4. يعد الاستشراق الفرنسي المرجع الأوروبي الأول عن الأبحاث والدراسات الخاصة بالجزائر والطوارق والبربر، وكان تركز مستعمراته في إفريقيا عاملاً مساعداً له على ذلك، واهتمامه بهذا النوع من الدراسات لا يخلو من نوايا استعمارية.
5. ترك بصماته الواضحة على التعليم في الجزائر (وخاصة في الشمال منها)؛ وذلك بسبب ما أتيح لأعضائه من فرص في التدريس والتوجيه التربوي وتخطيط المناهج.
6. ضم بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبه [1].

فمعظم من تناولتهم هذه الدراسة هم مستشرقون اختلفت دوافعهم وأهدافهم ونظرتهم للجزائر باختلاف المواقع العلمية والعملية التي كانوا يشغلونها في فرنسا.

[1] الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، (دمشق: دار قتيبة)، الطبعة 2 :2002م، ص85.

2- حقيقة المرأة الشرقية عبر التاريخ:

لا جرمَ أنَّ الباحثَ في وضْع المرأة قبلَ الإسلام لن يجدَ ما يسرُّه، إذ يرى نفسَه أمامَ إجماع عالَمي على تجريدِ هذه المخلوقة مِن جميع الحقوق الإنسانيَّة، لكن الحقيقة الدامغة هي أن الإسلام كرم تلك المخلوقة، لكن دعاة التسوية التامة بين الرجل والمرأة حاولوا خلط المجتمع الإنساني[1] خلطا تضيع فيه الحكمة، خلطا غير مناسب للتكوين الفطري للروح البشرية.

أ) المرأة الجزائرية قبل الإسلام:

على العموم لا يمكن الجزْم بحال المرأة الجزائرية قبل الإسلام، إلا من خلال الاعتماد على بعض الرسوم والآثار بمناطق مختلفة من الجزائر أبرزها بجبال الطاسيلي، إلا أن حالها لن يختلف عن حال غيرها ممن كانوا على الجاهلية يعيثون فسادا في محور جدال بين الفلاسفة وأصحاب الملل والنحل حول طبيعة المرأة[2]، وهل هي من نفس جنس الرجل؟ وهل لها روح؟ وهل تلك الروح إنسانية؟ وهل يمكن أن ترتقي إلى منزلة العبيد والرقيق والخدم؟ أم أنها ذات روح شيطانية خلقت للإفساد و الإغواء.

[1] المستشرقون والمرأة المسلمة- د-فاطمة هدى نجا –دار الايمان- ص12.
[2] المرجع السابق-ص13.

ب) المرأة الجزائرية في عهد الرومان(المرأة البربرية):

كانت المرأة الجزائرية في العهد الروماني مبالغة في الزينة والتجميل واستعمال الحلي البربرية، لما لشعب البربر من تاريخ عريق وألبسة مختلفة وحلي يعتبر من أجمل وأروع الحلي، إضافة إلى العديد من المميزات التي يمتاز بها شعب البربر.

في بعض الأحيان نجد المرأة البربرية قد بدت في مركز قوة وسلطة كالمشاركة السياسية أو السلطوية والدليل في ذلك شخصية المرأة البربرية **ديهية** والمعروفة "**بالكاهنة**"[1] والتي لديها شخصية أنثوية بربرية قوية كما كان لها الكلمة المسموعة بين قومها.

ت) المرأة الجزائرية مع قدوم الإسلام:

ساوى الإسلام بين الرجل والأنثى في جميع التكاليف الشرعية إلا في أحوال خاصة[2] قليلة تعزى للتكوين الفطري فهي غير مناسبة لها، لكنه ساوى بين الصنفين في الحقوق المدنية فهن قد شاركن في الحياة السياسية والفكرية والدينية(المبايعة مثلا)، مما لا ريب فيه أن الإسلام رفعَ شأن المرأة في بلاد العرب وحسن من أحوالها وكرمها، فهي مسؤولة كالرجل مسؤولية كاملة أمام ربها عزو وجل وأمام مجتمعها، فهن شقائق الرجال.

ث) المرأة الجزائرية في العهد التركي (العثماني):

[1] مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال للطالبة –يمينة منخر فيس– بعنوان "صورة المرأة الجزائرية في الفن الاستشراقي –جامعة الجزائر –كلية العلوم السياسية والإعلام – السنة الجامعية 2010–2011 صفحة 176..

[2] المستشرقون والمرأة المسلمة- المرجع السابق- ص 12وص15

في العهد التركي فقدت المرأة الجزائرية الكثير من الحقوق (**كالتعليم والإرث**[1]) إضافة إلى معانتها الكثير من المشاكل كالفقر والحرمان عكس المرأة العثمانية التي كانت تعيش في ترف وبذخ، فهذا فيما يخص مرحلة الدولة العثمانية لان المرأة العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة عانت الكثير وخاصة مع مجيء الحملات والغزوات الأجنبية (الاسبانية والفرنسية..) بحيث نالت المرأة ما ناله المجتمع وأكثر (الأمية والجهل) فالعبودية النسائية بكل اختلافاتها رافقت هذا النظام بشكل ملفت، وهو الأمر الذي عصف بالمجتمعات العربية والجزائرية على وجه التحديد).

ج) المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي:

هناك عدة مراجع أشارت إلى بطولات، ونضال المرأة الجزائرية أثناء فترة الاحتلال، وتطرقت إلى كفاحها، وتضحياتها ضد الاستدمار الفرنسي، ومن أوائل هذه الكتب كتاب الباحثة المجاهدة أنيسة بركات درّار الموسوم: «**نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية**».

كانت المرأة الجزائرية في عهد الاستدمار الفرنسي العنصر المهم في الثورة الجزائرية، حيث وقفت مع الرجال جنبا إلى جنب لتحرير هذا الوطن الذي دافعت من اجله حتى اللحظات الأخيرة، كما تحملت مسؤولية الكفاح في المدينة والأرياف، لكسر الحصار الذي كان يشكله المستعمر على أولادها، زوجها، عائلتها، بلدها، دينها وشرفها.

[1] يمينة منخرفيس-المرجع السابق –ص178

عملت المرأة الجزائرية كممرضة تعالج المجاهدين في الجبال، طباخة تحضر المئونة لهم، ترسل الرسائل وتشارك في المظاهرات والإضرابات مجاهدة ترفع السلاح وتضع القنابل في أماكن وجود الفرنسيين، أدى هذا الأمر إلى تغيير مهام المرأة وتحويل أدوارها الثانوية إلى أدوار أساسية التي كان المجاهدون بأمس الحاجة إليها رغم الصعاب التي واجهتها لكونها امرأة.

ح) **المرأة الجزائرية بعد الاستقلال:**

قطعت المرأة الجزائرية أشواطا طويلة كي تثبت ذاتها، فبعد الاستقلال اتجهت المجاهدات إلى الخدمة الاجتماعية وأسسن جمعية اتحاد نساء الجزائر التي تتبعت رعاية شؤون أبناء الشهداء، وبعضهن توجهن نحو العمل في مختلف الوظائف[1] وتفرض وجودها في مختلف المجالات، فبعد أزيد من خمسة عقود من تاريخ استرجاع الجزائر لسيادتها، تمكنت من تبوأ مكانة محترمة على جميع الأصعدة الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والثقافية.

[1]-المرجع نفسه الصفحة 180.

3- افتتان الفانين المستشرقين وتأثرهم بالمرأة الجزائرية:

بلغ افتتان الرسامين الأوروبيين بالشرق خلال القرن التاسع عشر حدا لا مثيل له في أي حقبة أخرى، حيث تفتحت أعين الرسامين الغربيين بقوة واندهاش على عوالم جديدة لما اهتموا بالمغرب العربي منذ بداية القرن التاسع عشر فشدوا الرحال من مختلف البلدان الغربية إلى تونس والجزائر والمغرب بحثا عن موضوعات ومناظر جديدة وآفاق غير مكتشفة يستلهمونها في لوحات جميلة لقيت نجاحا كبيرا في أشهر المعارض الدولية، ويظهر معرض "**الاستشراق في أوروبا من دولاكروا إلى ماتيس**" في مدينة مرسيليا الفرنسية مدى ولع الرسامين الأوروبيين بسحر الشرق وطبيعته وخاصة الجزائر.

كان الرسامون الفرنسيون سباقين إلى استلهام الموضوعات المتنوعة والأصيلة من بيئة المغرب العربي ولا غرابة في ذلك لأن جل بلدان هذه المنطقة كانت مستعمرات فرنسية، بيد أن النجاح المذهل الذي حققته لوحات هؤلاء في أشهر المعارض بباريس ولندن جعل رسامين من أميركا وإنجلترا وسويسرا والنمسا وألمانيا وغيرها يرحلون صوب البلدان العربية بشمال إفريقيا وصارت مدن الجزائر وتونس والمغرب الوجهات المفضلة لهؤلاء يمكثون فيها فترات قد تطول أو تقصر يستجدون وحي الفن ويعودون بحصاد كبير لا تزال أشهر المتاحف العالمية تحتفظ ببعض غلاله إلى اليوم.

3-1- تطرق الفنانين المستشرقين إلى موضوع المرأة:

تنوعت الموضوعات التي تطرق إليها الرسامون المستشرقون فاهتموا بالطبيعة حينا واعتنوا بالعمارة الإسلامية والدور الفاخرة أحيانا أخرى، كما تتبعوا الحياة اليومية في الأزقة الضيقة برؤية فنية ورصدوا العادات الاجتماعية كحفلات الزفاف والختان وليالي السمر وجلسات المقاهي[1]، إلا أن المرأة أخذت **حصة الأسد** في لوحات الرسامين المستشرقين الذين وجدوا فيها جمالا متميزا وسحرا غير مألوف.

كما تأثر الفنان الفرنسي تيودور شاسيرو 1819-1856 بمواطنيه الفنانين المستشرقين المشهورين دولاكروا وإتيان دينيه فتفنن في رسم النساء العربيات وهن على شرفات البيوت أو خلال جلسات الفرح والرقص كما أبدع بصفة خاصة في رسم البدويات بأزيائهن التقليدية وأبدع شاسيرو في تقديم صور للحكام العرب المحليين في تلك الفترة مثل لوحة «بورتريه حاكم قسنطينة علي بن أحمد» التي عرضت بصالون باريس عام 1845[2] كما رسم لوحة مشهورة لحاكم مغربي سماها «لوحة مولاي عبد الرحمن».

---

[1]-مجلة افاق ادبية بعنوان"المستشرقون وفتنة النساء العربيات"الاحد 14 يوليو 2002- العدد131.

[2]-مذكرة تخرج ليمينة منخرفيس-مرجع سبق ذكره-صفحة 190.

3-2- سحر المرأة الشرقية:

اهتم الرسام الفرنسي إميل فرنيت لوكومب 1821-1900 بالنساء الريفيات في بلدان المغرب العربي ولا سيما المرأة البربرية في منطقة القبائل الجزائرية كما يتجلى في لوحته الرائعة «المرأة البربرية» المنجزة عام 1870.

وأبرز الرسامون المستشرقون صورا لواقع المرأة العربية وعاداتها وقد يساعد ذلك اليوم على إلقاء الضوء على وضع المرأة العربية في نهاية القرن التاسع عشر[1].

وتعددت لوحات المرأة الشرقية عند الرسام الفرنسي هيبوليت لازارجيس 1817-1887وقد رصد نماذج كثيرة للمرأة وهو يتنقل في سهول المتيجة غرب الجزائر العاصمة ومنطقة القبائل، ومن أشهر لوحات هذا الفنان الذي برع أيضا في الموسيقى وتأليف الأغاني لوحة «فاطمة» ولوحة «الحالمة» ولا تزال بعض لوحاته الأصلية بمتاحف الجزائر إلى اليوم.

ورداً عن السبب الرئيسي وراء افتتان المستشرقين بالمرأة الجزائرية وتضمينها في أغلب لوحاتهم، خاصة وان الفنان" فريح" اعتمدها في كثير من لوحاته، أجاب أن المرأة تعطي اللوحة نكهة وحياة، كونها سراً من أسرار الكونية، أما بالنسبة للمستشرقين فتضمنت رسوماتهم مجموعة من القضايا الدقيقة التي تناولت جميع تفاصيل الحياة العربية من عمارة وطريقة عيش ورسم للأزقة والأحياء والمساجد، وكان للمرأة حيز كبير في رسوماتهم.

[1] مقالة بعنوان المستشرقون وفتنة النساء العربيات العدد الصادر بتاريخ 21 -08-2010

3-3- تصوير المستشرقين للمرأة الجزائرية؟

صوروها في حالاتها النفسية المختلفة داخل المجتمع، واستطاعوا من خلال هذه الرسوم أن ينقلوا بعض العادات والتقاليد التي كانت تقوم بها النساء، بما فيها العنف الجسدي الذي عانت منه المرأة في تلك الحقبة، وقد يعود شغف الرسامين المستشرقين بالمرأة لأسباب عديدة منها شغفهم بالجواري، وحب استكشاف السحر الشرقي المخبأ في تفاصيل الحياة اليومية للمرأة، لذلك صوروها عارية ....، وأيضاً مرتدية أنواعاً مختلفة من الملابس التي تمثل تلك الحقبة من الزمن.

3-4- أبرز الفنانين المستشرقين الذين رسموا المرأة الجزائرية:

زارت الجزائر خلال القرن التاسع عشر نخبة من كبار المستشرقين والرسامين الغربيين الذين انبهروا بثراء البيئة الاجتماعية الإسلامية، وترك العديد منهم لوحات وأعمالا ناطقة تعبّر عن انجذابهم إلى سحر هذه البيئة وعمقها وأصالتها وغناها[1].

وكان من أبرز هؤلاء «دولاكروا» و«فرومنتين» و«سكاسريو» و«إيتيان ديني» وغيرهم من الذين أضافوا لمعروضات المتاحف روائعهم.

---

[1] نادية قجال, « الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبّان الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي
/ إنسانيات, 46 | 2009, 127-142

لقد بلغ تأثر بعضهم بهذه البيئة حد التمسك بالإقامة الدائمة في الجزائر، من ذلك الرسام الفرنسي الشهير «إيتيان ديني» المتأثر بهذا التراث إلى حد إشهار إسلامه عام 1913.

1/ البورجوازي الفرنسي **يوجين ديلاكروا** (1798-1863) كان رساما أوروبيا مفتونا بالشرق بوصفه امرأة ملونة قادرة على المنح والعطاء بل على الإغواء أيضا.. إنها، أي الشرق، امرأة حلم أكثر مما أنها امرأة مخيلة أو امرأة واقعية حسب قوله.

كان ديلاكروا قد دعا زملاءه من الفنانين الأوروبيين إلى زيارة بلاد المغرب قائلاً «إن هذه الأماكن خُلقت للفن فقط، تعالوا إلى هذه المناطق البربرية ففيها نشعر بطبيعة الأشياء وأثر الشمس في الكائنات التي تخترقها وتشتعل فيها الحياة.

2/إيتيان دينيه (1706-1798):

احتل مرتبة خاصة جدا في تاريخ الرسم الاستشراقي، فقد أنهى بعجلة دراسته الأكاديمية، شأنه في ذلك شأن الفنانين الآخرين، ليشق طريقه سريعا واتسمت لوحاته بالأصالة نظرا لارتباطه وتعاطفه تجاه الشعب الجزائري ونظرا لموهبته التي أكسبته احترام الشعب. من المعروف أن دينيه عاش قرابة خمسين عاما في جنوب الجزائر.

اهتم دينيه برسم لوحاته في الهواء الطلق واهتم أيضا بمشاكل الضوء. حرص دينيه عامًا بعد آخر، على التسجيل الدقيق لأوجه الحياة المتعددة في جنوب الجزائر، بأساطيره وعاداته، خاصة في بو سعادة والأغواط، لم يركز على البؤس والتقشف برغم أنه رسم لوحات تعبر عن الشيخوخة والعمل المنهِك والحزن والعمى[1]، ونجد شخصياته تشرق على وجوهها متعة الحياة والكرامة والحسية وقوة التحمل والحماس الديني والكآبة، كان دينيه بلا منافس ضمن المستشرقين الآخرين، التي غلبت العاطفة الشديدة على لوحاتهم، وذلك يرجع بلا شك إلى موهبته النادرة التي عرف بها.

4- المرأة الجزائرية في صميم الفن الاستشراقي:

بعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على الجزائر، حاولت أن توطّن فيها أعدادا كبيرة من الفرنسيين خاصّة والأوروبيين عامّة لتجعل منها مستعمرة توطين أو امتدادا لها عبر البحر، واستعمل الرسم في الترويج لجمال البلاد المستعمرة، والتشويق لسحرها وروعة العيش فيها بالكشف عن سمائها الصافية وطبيعتها الغريبة وشمسها الحارّة وألوانها البهية الدافئة، فصوّر الرسّامون المستشرقون عالما مثاليا يغمره السكون والعزلة، يتراءى كجنّة نعيم تجتذب الرومنسيين وعشّاق التغريب.

[1] المرجع نفسه ص 127-142

على أنّ الشرق لطالما ارتبط في المخيلة الغربية بالأسطورة وحكايات ألف ليلة وليلة. والخصوبة التي منحتها قصص الأميرة شهرزاد والكتاب المقدّس لمخيّلة الطفل الأوروبي الصغيرة.

لذا يجب أن يقف المتلقّي منها وقفة ممحّص وناقد مغربل، فإذا أخذنا على سبيل المثال لوحة "**دولاكروا**" الموسومة "**بنساء الجزائر**" تستوقفنا دقّة التفاصيل في رسم أثواب النساء، ونقل صيغ التطريز والأزرار، والزخارف والتخاريم، والبلاط والفرش والباب الخشبي المنقوش، والمرآة المذهبة، والنارجيلة وما إلى ذلك من التفاصيل الكثيرة، علما أنّ زيارته للجزائر لم تتعدّ ثلاثة أيام من 25 إلى 28 جوان 1832م[1].

وذكر أنّه حظي بزيارة حرم بمدينة الجزائر وأنّه كان جميلا جدّا وكانت النساء يعتنين بتربية الصغار ويقمن بغزل الصوف وتطريز النسج الفاخرة[2].

لكن عند تأمّل اللوحة نلاحظ أنّه استعان بنموذج واحد لامرأة أوروبية في رسم النساء الجزائريات الثلاث، فالتشابه صارخ، بمعنى أنّه لجأ إلى نموذج بديل.

ولا شكّ أنّ هذا يرجع إلى أنّ العرب لا يسمحون باستعراض نسائهم للغرباء كما سبق أن أشرنا، وتعذّر إيجاد نماذج إناث في المجتمع الجزائري المسلم المحافظ.

---

[1] Vidal-Bué, Marion,Alger et ses peintres, p. 217.

[2] idem

وتكرّر موضوع نساء الحرم على امتداد فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر. وتندرج لوحة الرسام "فيليكس هونري فيليبتو" الموسومة "**بنساء موريات من الجزائر في شقتهن**"[1] ضمن السياق نفسه والأسلوب ذاته، لكنّها تبدو أكثر ثراء وتأنّقا في الأثاث واللباس والفرش والتحف.

4-1- مشاهد العري في لوحات المستشرقين:

امتلأت الصالونات الغربية بلوحات العري التي تصف مفاتن المرأة العربية المسلمة وتحايل الرسّامون في الحصول على هذه المشاهد، ونذكر من بينها سلسلة الأعمال التي أنجزها "هونريماتيس" رائد المدرسة الوحشية والتي تحمل كلّها عنوان "المومس"، وكذا لوحة "جورج أونتوان" الموسومة "بالعاهرة" ولوحة "أوندري فيجيراس" التي تمثّل مجموعة من النساء العاريات وما إلى ذلك فالمستشرقون رسموا المرأة العربية داخل الحمّام[2]، وهناك من رسمها تستحم في الواحات على ضفاف الوديان أو تحت الشلالات مع أنّها لا تفعل ذلك إطلاقا في الواقع[3].

وهذا لعدّة أسباب أهمّها أنّها تعيش في مجتمع محافظ لا يسمح حتّى بالكشف عن وجهها، كما أنّ الوديان والشلالات ليست بالأماكن الآمنة التي

---

[1] نادية قجال, « الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبّان الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي » / http://insaniyat.revues.org/924إنسانياتnsaniyat

[2] عرفة، عبده علي، "من سحر الشرق إلى دهشة الاكتشاف" مجلة العربي، العدد 508، مارس 2002م، ص.60.

[3] Bourboune,Mourad, « NasreddineDinet : les chemins de la lumière », actualité de l'émigration, n° 61, 29 Octobre 1986, p. 36.

يمكن أن تتجرّد فيها من ثيابها وتضطجع بالطريقة التي تضطجع بها الأوروبيات على شواطئ البحر ولا يمكن أيضا أن تستحمّ في العراء والحمّامات موجودة في كلّ بلدة صغيرة، بعد أن نجح المسلمون في تطويرها ونشرها عبر أرجاء البلاد الإسلامية[1].

إذن مشاهد العري هذه لا علاقة لها بوصف الواقع إنّما هي نوع من أنواع الترويج للسياحة والاستيطان بالتفنّن في مزج الحقيقة بالخيال، والمزاوجة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة، بدليل أنّ الكثير من هذه اللوحات كانت تنشر على شكل بطاقات وطوابع بريدية.

4-2- مشاهد الرقص النسوي:

إنّ الرقص فنّ شعبي محتشم له آدابه وتقاليده، وكان "أوجين فرومونتين" قد لاحظ أنّ الرقص العربي بالجنوب يتسم باللطافة والعفّة بلغة إيمائية جدّ فصيحة يعبر عن دراما قصيرة مشوّقة مفعمة بالمشاعر الرقيقة[2].

وعلى أيّ حال فإنّ معظم الرسامين المستشرقين تعذّر عليهم تصوير الرقص الشعبي الحقيقي المحتشم عند المرأة، بحكم تقاليد المجتمع، فراحوا يبحثون عن نماذج بديلة في "المقاهي والحفلات الخاصّة التي كانوا يدعون إليها"[3]

---

1 Thornton, Lynne,La femme dans la peinture orientaliste, Paris, Edition ACR, 1985, p. 66.

2 Fromentin, Eugène, « Un été ..... » in œuvres complètes, p. 32.

3 Vidal-Bué, Marion, « L'Algérie des peintres ... », p. 34

وترجموه من خلال ما أملته إيماءات بنات الهوى، وقدّموا صورا مفبركة عنه ورسّخت هذه الصور و الأفكار في المخيلة الغربية لأوروبا.

4-3- البعد الإيديولوجي لصورة المرأة الجزائرية في لوحات المستشرقين:

لا بدّ من التأكيد أيضا أنّ كشف المرأة المسلمة واستعراضها في الصالونات الغربية له بعد إيديولوجي آخر، يكمن في ترسيخ فكرة اقتحام الأبواب الفولاذية، فالجيش الفرنسي اقتحم الأسوار الجزائرية واستحوذ على البلاد، والرسامون اقتحموا أسوار العرض والحشمة التي ضربها المجتمع المسلم على المرأة المكنونة بين الجدران الصمّاء كالدرّة الثمينة، وجرّدوها من ثيابها واستعرضوها كغنيمة حرب لتعزيز فكرة القهر والسبي وانتهاك الحرمة ولو بانتهاج التحايل والتلفيق.

خـلاصة:

ليس غريبا أن ينتهج الرسامون الأوروبيون هذه الأساليب في تمثيل الحياة العربية، حتى يساهموا في تشجيع عملية الاستيطان وإيجاد موضوعات جديدة للوحاتهم على حساب تزييف التاريخ وتشويه العادات والتقاليد، لكن الغريب هو أن يحذو الرسّامون الجزائريون حذوهم، ونحن لا نجد تفسيرا لمشاهد العري التي أنجزها محمد راسم كلوحة "نساء في الشلاّل" مثلا.

الفصل الثالث : واقعنا والإستشراق

تمهيد

المبحث الأول : حقيقة المستشرقين.

أولا) محاولات المستشرقين والمبشرين إفساد المرأة الجزائرية.

ثانيا) وسائل المستشرقين لتشويه الفكر التراثي لأمتنا.

المبحث الثاني : إنصاف النتاج الاستشراقي

أولا) أعمال رائعة للمستشرقين بالجزائر.

ثانيا) المرأة الجزائرية المسلمة في نظر المستشرقين.

ثالثا) تأثير الإسلام في المستشرقين.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : واقعنا و الإستشراق .

تمهيد

حاول الاستشراق أن يتغلغل في النسيج الإسلامي من خلال ممارسته للتأثير في حقل التربية والتعليم.

فبداية حاول استغلال المبعوثين إلى الغرب من خلال التأثير الفكري والثقافي على عقليتهم ومحاولة بث الشكوك حول عقيدتهم الإسلامية، أيضاً عمد إلى إنشاء المدارس – سواء أأشرفَ عليها الرهبان مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عبر التدخّل في كتابة المناهج التعليمية– التي تعنى بالأطفال منذ نشأتهم، والعمل على تنشئتهم تنشئة مسيحية تعزلهم عن دينهم الإسلامي، وتجعل منهم لقمة سائغة في فم الاستشراق.

المبحث الأول : الحقيقة المرة للمستشرقين

أولا) محاولات المستشرقين والمبشرين إفساد المرأة الجزائرية:

اهتمت دراسات المستشرقين بموضوع المرأة الجزائرية، لا لحرصهم على حريتها وكرامتها كما يدعون دوما، ولكن ليؤكدوا على فرضية روجوها دوما في كل وسائل إعلامهم وتناقلتها بعض النساء المسلمات وهي أن الإسلام قد ظلم المرأة، وركزوا اهتمامهم عليها لعظم تأثيرها في بناء المجتمع وتقوية أركانه لكونها حاضنة بذور المستقبل ومنشئة الأجيال، فتركزت جهودهم

عليها وعملوا على إفسادها فدعوها إلى الخروج للعمل ومزاحمة الرجال لكي تنشغل عن الدور الرئيسي لها ولتترك وظيفتها الأساسية ولتكون معولا من معاول هدم هذه الأمة[1].

أ) المستشرقون ومحاولتهم إفساد المرأة الجزائرية المسلمة:

ولخصت ذلك في نقاط أرى أنها من أهم النقاط التي وجب ذكرها:

1- ضم المنصرون فريقا من النساء ليقوموا بمهمة المعاونة في قضايا المرأة الجزائرية.

2- أسسوا عدة منظمات أهلية وخدمات معاونة مثل الجمعيات النسائية والمدارس الإرسالية للفتيات مع الاهتمام بفتح مدارس داخلية لرفع فرص التأثير وتشجيع التعليم المختلط وإقامة الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية[2].

3- محاربة الحجاب بوجه خاص والادعاء بأنه رمز للتخلف والرجعية.

[1]-مجلة أفاق أدبية بعنوان"المستشرقون وفتنة النساء العربيات"الأحد 14 يوليو 2002-العدد131.

[2]-مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال للطالبة – يمينة منخر فيس- بعنوان "صورة المرأة الجزائرية في الفن الاستشراقي -جامعة الجزائر -كلية العلوم السياسية والإعلام - السنة الجامعية 2010-2011 صفحة -176-177-178.

4- تغير المنهج بعد صعوبة تنصير النساء الجزائريات – كما أشار عليهم زويمر[1] – إلى تغيير الهدف بإخراج المرأة الجزائرية عن دينها بدلا من السعي لتنصيرها.

5- تنمية الشعور العام بالغرائز الفطرية وإثارتها واستخدام كافة الوسائل الإعلامية في ذلك.

6- الإمساك بتلابيب القنوات الأكثر تأثيرا في المجتمعات وهي التعليم والإعلام والثقافة وربط كل جديد وجيد وجميل بالغرب وربط كل ما هو قبيح وسيئ ومتخلف بالشرق وبالإسلام وبالتدين حتى بدأت غربة الفتاة الجزائرية المسلمة عن دينها .

7- استقطاب النابهات منهن لبعثات دراسية بالخارج لتكتمل السيطرة على المفاهيم العقلية ثم دعمهن بعد العودة على تبوئ المناصب العليا المؤثرة.

8- توجيه الصناعات النسائية للأزياء والعطور ووسائل التجميل ودعم كل هذه الجهود مع محاربة أي نشاط تعليمي أو إعلامي أو تثقيفي للمرأة الجزائرية إذا خرج عن طوقهم.

9- قتل النخوة في نفوس المجتمع كله بإشاعة مظاهر الفاحشة حتى يعتادها الناس ولا ينكرونها فتقل مقاومتهم ويتقبلوها بكل ما فيها من فحش.

---

[1] يقول زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس عام 1935م: "إن مهمتكم – أيها المبشرون ليس بإدخال المسلمين في النصرانية ؛ فإنهم لن يدخلوا بهذه السرعة، إن مهمتكم أن تفصلوه من الدين" ... يعنى تجعلوه يعيش بلا دين.

10- إشاعة المفاهيم الجنسية ونق تلك المظاهر الفاجرة في المجتمعات الأوروبية مع ربط ذلك دوما بالتقدم التكنولوجي لتوجيه رسالة مفادها ... الطريق من هنا.

11-من أخبث طرقهم شن الهجوم على الحجاب والمتحجبات وعلى العفاف والفضيلة وتمجيد الرذيلة.

12- من الأساليب تمجيد الفاجرات من الغربيات والممثلات والراقصات والمغنيات وغيرهن.

13- الترويج للفن والمسرح والسينما.

14- استدراج الفتيات الجزائريات للكتابة والتمثيل أو الإذاعة.

15- تربية البنات الصغيرات على الرقص والموسيقى والغناء من خلال المدارس والمراكز وغيرها.

هذه دراسة مختصرة حول المؤامرة على المرأة المسلمة في العالم الإسلامي والعربي وعلى المرأة الجزائرية على وجه الخصوص حيث عرف أعداؤنا من أين تؤكل الكتف فدخلوا إلينا من مداخل عديدة وأحدها باب المرأة فقد حاولوا إخراجها من خدرها وعفافها[1]، لأن المسلمة التي تربيها يد مسيحية تعرف كيف تتغلب على الرجل ، ومتى تغلبت عليه أصبح من السهل عليها أن تؤثر على عقيدة زوجها وحسّه الإسلامي وتُربي أولادها على غير دين أبيهم

[1]-مجلة أفاق أدبية بعنوان"المستشرقون وفتنة النساء العربيات"الأحد 14 يوليو 2002-العدد131.

، في هذه الحالة يكونون قد نجحوا في غايتهم من أن تكون المرأة المسلمة نفسها هي هادمة للإسلام.

ثانيا) وسائل المستشرقين لتشويه الفكر التراثي لأمتنا :

سعى المستشرقون إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الوسائل والأساليب، وحيث أن المستشرقين جزء من مجتمعاتهم فإنهم سوف يستخدمون بلا شك الوسائل والأساليب الشائعة في مجتمعاتهم وإن كان مجال عملهم في الاستشراق سيتطلب في بعض الأحيان استخدام وسائل وأساليب تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم.

ب1) أولى هجمات الاستشراق:

وقد أتت أول هذه الهجومات على القرآن الكريم بصفته تأليفاً من قبل النبي محمد، وليس وحياً من الله، وفي هذا المجال يقول المستشرق "**جولدزيهر**"[1]: "إن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيس له."

ولم يكن القرآن الكريم هو وحده الذي استهدف من قبل المستشرقين، بل امتدّ الأمر إلى الفقه الإسلامي، فقد زعم المستشرقون بالأثر الروماني في الفقه الإسلامي، فالفقه الإسلامي ليس – من وجهة نظر بعض المستشرقين– إلا القانون الروماني مع بعض التعديلات التي تلائم الطبيعة العربية.

[1] مستشرق يهودي مجري(1921/1850م) وهو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي الشريف.

ومن أبرز الجهود على الساحة العلمية والثقافية الإسلامية اليوم قبل الأمس ولوج المستشرقين التراث والكتابة عنه دراسة وتحقيقاً ونشراً وتبويباً وتصنيفاً وتكشيفاً، حيث وصلت مؤلفاتهم في فترة مائة وخمسين سنة (1800 – 1950م) إلى ما يربو على ستين ألفاً بين كتاب ومقالة في الفلسفة والتاريخ والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية[1].

ب2) الهجمة الثانية:

هناك أيضا الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلميَّة، وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سُمعة الإسلام في نفوس رُواد ثقافتهم من المسلمين ؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية ، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وكل ما يتَّصل بالإسلام من علم وأدب وتراث .

تنوعت وسائل الاستشراق، من إقامة معاهد ومكتبات ومتاحف، إلى إنشاء مطابع ودور نشر، وعقد مؤتمرات، وإرسال بعثات[2]، هذه بصفة عامة الوسائل التي اتخذها المستشرقون لتحقيق أهدافهم وفيما يأتي توضيح هذه الأساليب.

---

[1] عبدالعظيم الديب. المنهج في كتابات الغربيين.. – ص38 .

رابط الموضوع http://www.alukah.net/culture/0/318/#ixzz4cv09mJHM :

[2] فاطمة أبو النجا.نور الإسلام وأباطيل خصومه. ص 160

1- التحقيق والنشر وإصدار الكتب:

فقد حرَص الاستشراق منذ بدايته على نشْر الكتب التي تتناول الإسلام من جميع جوانبه – عقيدة وشريعة، وتاريخًا وسيرة [1]– وتناوَلت هذه الكتب الأحوال الاجتماعية في العالم الإسلامي في مختلف العصور.

وكذلك إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن المجتمعات الإسلامية وأيضا إنشاء موسوعة دائرة المعارف الإسلامية بعِدة لغات هي أوسع إنتاج موسوعي استشراقي، من قِبَل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوروبية مختلفة.

و دأَب المستشرقون منذ بداية عهدهم بالدراسات العربية والإسلامية على الاتصال ببعضهم البعض عن طريق المراسلات والرحلات، قاموا أيضا بالكتابة في الصحف المحلية ببلادهم والبلاد التي لهم فيها نفوذ، وعقد المؤتمرات لمناقشة القضايا الإسلامية، و إنشاء الجمعيات.

خـلاصة:

في النهاية نخلص إلى القول أنّ الاستشراق أو بالأحرى الرسم الاستشراقي يحفظ جزءا مهمّا من ذاكرة الشعب من جهة، وينتابه اللبس والتزييف ويغشاه الاصطناع من جهة أخرى، فهو إعادة بناء للآخر وفق التصوّر والمصلحة، ويمكن الاستفادة منه في كتابة التاريخ إذا أحسنّا غربلته من الشوائب العالقة به، كما يمكن دراسة الفكر الغربي من خلاله.

[2] مازن مطبقاني . الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. ص 58 وما بعدها

المبحث الثاني : هل أنصفنا حقا النتاج الاستشراقي ؟

تمهيد:

إن رسامي الشرق أفضل من نقل التراث وحياة الجزائريين، فلقد زارت الجزائر خلال القرن التاسع عشر نخبة من كبار المستشرقين والرسامين الغربيين الذين انبهروا بثراء البيئة الاجتماعية الإسلامية، وترك العديد منهم لوحات وأعمالا ناطقة تعبّر عن انجذابهم إلى سحر هذه البيئة وعمقها وأصالتها وغناها، وكان من أبرز هؤلاء «دولاكروا» و«فرومنتين» و«سكاسريو» و«إيتيان ديني» وغيرهم من الذين أضافوا لمعروضات المتاحف روائعهم.

أولا) أعمال رائعة للمستشرقين بالجزائر:

بالنسبة لهذه الأعمال فإنها ذات حضور مميز في الذاكرة الفنية الجزائرية إضافة إلى تعلق الجمهور المتعاقب عبر الأجيال عليها، إذ هي صورة جميلة لحياة أجداده وأسلافه، لذلك لا يتردد الجمهور في إعادة مشاهدتها والاستمتاع بمناظرها ذات ألوان النور، وبتقاليد وبيئة غابت في أيامنا، خاصة تلك الحياة الأصيلة وكذا العلاقات الإنسانية المتميزة سواء بين الناس أو بين الرجل والمرأة.

فقد نالت الجزائر مساحة واسعة على لوحات فناني القرن التاسع عشر فتوالوا على رسمها بأساليب وتيارات فنية متباينة، شأن العديد من عواصم الشرق مثل: الشام ومصر و تركيا وبلاد المغرب العربي، فكان العالم الجديد

الذي افتكوا أبوابه بترسانتهم العسكرية غارقاً في متع الجمال والغرائبية والإبهار، الذي يغذي قريحة الإلهام التي يتطلبها العمل الإبداعي، فأنتجوا روائع فنية وإن كانت آنذاك تشجع المتفرجين عليها في صالات العرض الأوروبية على الهجرة نحو المستعمرات، تظل أعمالاً إبداعية غاية في الروعة، بل صارت وثائق تاريخية تؤرخ للحياة في القرنين: التاسع عشر والعشرين.

وتحظى لوحات :«دولاكروا» و«جيروم» و«اتيان دينيه» و«رنوار» بمكانة خاصة في متاحف الفنون الجميلة في الجزائر وفرنسا، فقد أتقن هؤلاء الفنانين رسم مظاهر الحياة في الجزائر بمنتهى الاحترافية والشاعرية، مقدمين جانباً كبيراً للتفاصيل المتعلقة بالتقاليد والثقافة والعلوم، ولو أنهم غرقوا في رسم النساء مطلقين العنان لخيالهم الفني .

من أبرز روائع الفنانين المستشرقين بالجزائر:

1) أوجين دي لاكروا:

يعتبر «أوجين دي لاكروا» (1798- 1863) أكثر الرسامين ولعاً بالجزائر، لم تكن روعة لوحاته عنها تقل عن رائعته الشهيرة «مجزرة سيو» التي رسمها عام 1824، فقد تحولت الجزائر إلى موضوع أساسي في أعماله الفنية منذ رحلته نحو أفريقيا عام 1832، حيث بدأ عشقه الأزلي لحضارة الشرق وسحره، موظفاً الكثير من تفاصيله من حياة الناس اليومية، القصور والأحياء، الهندام والحلي والأفرشة، الخيول والتقاليد العربية، والأمازيغية

وجمال المرأة الجزائرية، وتعتبر رائعة «نساء جزائريات في مخدعهن» أروع ما رسمه «أوجين دولاكروا»، فقد شكلت اللوحة اهتمام النقاد لفترات زمنية متباعدة، امتدت إلى القرن الحالي، حيث أعاد رسمها وتفكيكها الرسام العالمي «بابلو بيكاسو» وغيره من الفنانين المعاصرين.

2) هوراس فيرنيه:

من الفنانين المستشرقين الفرنسيين يحضر الفنان «هوراس فيرنيه» (1789 - 1863)، الذي حل بالجزائر عام 1833، منجزاً عدة لوحات تعبر عن انتصار فرنسا ونشوتها باحتلال الجزائر[1]، فقد كان رساماً مجنداً لتصوير الحملة العسكرية على مدينة «قسنطينة»، وأنجز عنها أكثر من أربع عشرة لوحة أشهرها لوحة «الهروب»، كما رسم لوحته الشهيرة التي تصور سقوط عاصمة «الأمير عبد القادر الجزائري» في يد الدوق «أومال» في عام 1845 والتي يبلغ عرضها 21 متراً، وقد تم استنساخها من قبل العديد من الفنانين في فترات زمنية متباعدة، كما تميز الفنان «فيرنيه» أيضاً في رسم مشاهد الحروب الضروس بين المقاومين الجزائريين والجيش الفرنسي، وبسالة المحاربين، ولذلك تعتبر حالياً وثائق تؤرخ لتلك المعارك.

[1] إميل جان هوراس فرنيه، (ولد في 30 يونيو 1789. توفي في 17 يناير 1863، باريس)، رسام فرنسي مستشرق، اشتهر برسم المعارك و الحروب الفرنسية والمواضيع العربية.

3) أوجين فرومونتين :

الفنان «أوجين فرومونتين» (1820- 1876) هو رسام وكاتب، يعد من أشهر أعلام الفن الاستشراقي، فمنذ وطأت أقدامه أرض الجزائر عام 1846 وقع في أسر جمالها، خصوصاً مدينة الجزائر وبوادي وواحات الصحراء، وقد شكلت الطبيعة الفريدة بتناقضات جغرافيتها، التي تجمع البحر والجبال والصحراء عناوين لوحاته، وهذا ما يفسر اشتغاله الكثيف على اللون وتوظيفه، وتعتبر أشهر لوحاته «الصيد بالصقور» التي رسمها عام 1863 من أجمل ما رسم، كذلك رائعته «أرض العطش» التي أنجزها عام 1869 يظهر فيها بشاعرية متناهية قساوة الصحراء وجفاءها[1].

4) ألفونسو اتيان دينيه :

إن كان «غييومي» فنان الصحراء كذلك «ألفونسو اتيان دينيه» (1861 - 1929) هو رسام بوابتها دون منازع منذ أن قدم إليها عام 1905، فقد عشق مدينة «بوسعادة» واختار الإقامة الأبدية فيها، ولم تلهمه النساء «النايليات» (نسبة إلى منطقة سيدي نايل)، وحياة التعبد وطقوس الديانة الإسلامية وبساطة وعوز أهلها ليعبر عنها بمقدرة فنية خلاقة فحسب، بل حياته بينهم جعلته يختار العيش معهم لمدة خمسين عاماً، حيث دخل الإسلام، وغير اسمه إلى «نصر الدين دينيه»، أنجز في حب الصحراء الجزائرية لوحات

[1] Brahim Hadj Slimane- **la création artistique en Algérie (histoire et environnement)**-Marsa éditions-Alger- 2003-P90-91

شهيرة تقدر اليوم بالملايين، مثل رائعة «عبد الغرام ونور العين»، «ربيع القلوب»، «السراب»، «نظرة الغرب للشرق»، «الصحراء» ولوحته الشهيرة «خضرا» التي هي عنوان رواية كتبها أيضاً، وله كتاب آخر: «الحج إلى بيت الله الحرام»، وتعد كل كتاباته وإبداعاته الفنية مستوحاة من يوميات حياته في الجزائر.

❖ **رنوار:**

رسم الفنان منذ زيارته للجزائر كل شيء بها، مدققاً أدنى تفاصيلها بمقدرة فنية رهيبة حيث يسيطر الأزرق والأخضر والأبيض على الألوان الأخرى في لوحاته[1] وهي ألوان الساحل الجزائري حيث الشمس تبرز فتنته، أما جمال المرأة الجزائرية فكان أكثر مواضيع لوحاته روعة.

❖ وتبقى اللوحات والتحف الفنية التي رسمت في عهد الاستعمار وما اقترفه من حروب وحرق وتعذيب – تبقى– تثبت بطريقة أو بأخرى أن الفن كان حاضراً وموازياً لتلك البشاعة، مجسداً بطريقة أو بأخرى جمالية تلك البلدان وشاهداً على حضارتها وسمو إنسانيتها، في ظل مزاعم الأوروبيين آنذاك بضرورة استعمارها، متهمين إياها بالبدائية والتوحش واللاحضارة.

[1] Lynne Thornto– **les orientalistes peintre voyageurs** – traduction Jean de la Hogne– édition ; ACR.Roche couleur – 1994– Paris –pp– 4–3

❖ **ثانيا) المرأة الجزائرية المسلمة في نظر المستشرقين:**

كرم الإسلام المرأة وعظم دورها في هذه الحياة، و بين كيف عاشت المرأة الجزائرية و المسلمة عامة كريمة ومصانة في كنف هذا الدين، وكيف كفل لها (كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) من الحقوق ما يضمن لها بقاء هذه المكانة.

ولأن لمسألة الحجاب في حياة المرأة المسلمة مكانة كبيرة فنقول الآتي :"ليس الحجاب الإسلامي أو الحشمة التي يتطلبها هذا الدين، تقتصر كما قد يتوهم البعض حتى من المتدينين أنفسهم على نوع اللباس الذي يتحتم على المرأة أن تتحجب به، كما أنه ليس مجرد تحديدات مكانية ترسم للمرأة دائرة وجودها وحركتها[1]، ولكنه مجموعة الشروط والممارسات والقيم والتصاميم العقدية والاجتماعية التي تمكن المرأة من تنفيذ مطالب الحجاب والاحتشام".

في مقارنة بين حياة الأسرة المسلمة والأسر الأخرى نجد مقولات كثيرة أقواها من وجهة نظري عبارة الأمريكية المسلمة "**سالي جان مارش**" التي تقول فيها: "لقد أحببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حبا كثيرا، لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لا غنى عنه من الحب والإخلاص والسلام الذي يعمر حياتهم، وليس ذلك فحسب، بل بفضل هذا الإخلاص في العلاقات

[1] المرجع السابق.

الزوجية بين المسلمين، هم واثقون أن أبنائهم هم حقا من صلبهم غير دخلاء عليهم، وهذا مفقود في المجتمعات الأخرى".

وخلاصة القول إن بحثنا الذي بين أيدينا يعطي لنا صورة عامة عن النظرة الغربية للمرأة المسلمة على تنوعات في هذه النظرة واختلافات بين الغربيين أنفسهم فيها من بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر، ثم هو رسالة قوية لأتباع الغرب من المسلمين للاطلاع على آراء فلاسفة الغرب وكتابه المجمعة على تكامل النظرة الإسلامية للمرأة، وتفرد المكانة التي تحتلها المرأة في ظل الإسلام.

ثالثا) تأثير الإسلام في المستشرقين:

عندما يأتي الحديث عن المستشرقين تجد البعض يمتعض ويسخط ويشتم ويشكك ، بينما كثير من المستشرقين قدموا للدين وللثقافة بكل أشكالها ابتداء من عقيدتنا ودينا الإسلامي ونبينا صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء بأدبنا وثقافتنا العامة إنصافا مشرفا ، بحثوا فأنصفوا غير متعصبين لدياناتهم ولا ميالين لعقائدهم ولا مشوهين في البحث والدراسة.

لا شكّ أنّ من أعظم الموضوعات التي اهتمّ بها الفنانون المستشرقون في دراساتهم موضوع الشريعة الإسلامية[1]، قدموا خدمة جليلة ومنصفة عن ديننا الإسلامي في الوقت الذي لم يقم به أي مسلم وقد كان جدير أن يتناول

[1] د. محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية. ط1. 1997م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة .

هذه البحوث والدراسات أصحابها من العرب الذين يحملون هوية هذا الدين كثقافة وحضارة أتت من السماء بعث لها الله صفوة خلقه (محمد صلى الله عليه وسلم).

من خلال اطلاعي على أعمال بعض الفنانين المستشرقين قد وجدت أنها كانت أعمالا قمة في الإنصاف والحياد فهم يحترمون ما يقدمونه ولا يرضون أن يكونوا عرضة للنقد والامتعاض وعدم الإلمام لذا يهمهم الإتقان والمصداقية ، بطبيعة الحال فهم قلة قليلة تعد على رؤوس الأصابع، لذا أود أن أشير وأصحح بعض المفاهيم لدا بعضنا عن الذين ساحوا في الأرض من هؤلاء الفنانين المستشرقين بهدف البحث العلمي البحت والحس الفني المرهف لديهم، بعيدا عن كل ميول أو تأثر بعقائدهم فهؤلاء قدموا ما قدموه من أجل الفن و العلم والمعرفة والمقارنة بين الأديان متخذين الحيادية العلمية بكل ما تعنيه هذه الأمانة الفكرية والبحثية من معنى.

❖أ) شهادات استشراقية أنصفت الحضارة الإسلامية:

المستشرقون المُنصِفون هم الذين أَنصَفوا أنفسَهم أولاً قبل أن ينصفوا الحقيقة، ولم يكلِّفوا أنفسهم سوى أن يكونوا موضوعِيِّين في تفكيرهم وفي أحكامهم؛ فقادهم التفكيرُ المُنصِف إلى قولِ الحق، بل إن بعضهم دخل الإسلام طواعيةً، فإننا لا نقصد من ذلك تباهينا بالماضي أو أن نردد أقوالهم، بل إننا نقصد من ذلك لفت أنظار المسلمين والعرب الى حقيقتهم .

– نستقرئ مما اعترف به المنصفون من المستشرقين أن الحضارة

الإسلامية كانت هي صاحبة الفضل في إرساء الحجر الأساس للحضارة الأوروبية الحديثة، فكان منهم من ألفوا كتباً ودراسات منصفة تشيد بفضل المسلمين الذي لا يمكن إنكاره، و نذكر عددا منهم ممن درسوا هذه الحضارة دراسة وافية وأبدوا إعجابهم بها.

فمثلاً يقول" **توماس أرنولد**" :"كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتُبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطى.

ويقول" **جورج سارتون**" في كتابه" **مقدمة في تاريخ العلم**" :"إنّ الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فـ"**المسعودي** "أعظم الجغرافيين، و"**الطبري** "أعظم المؤرخين"

هذا، وقد أبدى الباحث اليهودي" **فرانز روزانتال** "إعجابه الشديد ودهشته البالغة لسموّ الحضارة الإسلامية وسرعة تشكلها، فيقول: "إن ترعرع هذه الحضارة هو موضوع مثير ومن أكثر الموضوعات استحقاقًا للتأمل والدراسة في التاريخ.

وقد أشاد أحد الباحثين وهو" **روبرت بريفولت** "بالحضارة الإسلامية فقال :"إن معظم النشاط الأوربي في مجال العلوم الطبيعية إلى القرن الخامس عشر الميلادي كان مستفادًا من علوم العرب ومعارفهم".

ويقول المستشرق" **أدم متز**" في كتابه" الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري": "لا يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها كما فعل المسلمون في عصور نهضتهم وازدهارهم، فقد كان في كل بيت مكتبة."

يقول"**مسيو ليبري**": "لو لم يظهر المسلمون على مسرح التاريخ لتأخرت نَهضة أوروبا الحديثة عدة قرون."

ولقد أشار أيضاً إلى هذا المعنى المؤرخُ الفرنسيُّ الشهير" **سديو**" في تاريخه الكبير، الذي ألفه في عشرين سنة، بحثًا عن تاريخ المسلمين، وعظيم حضارتهم، ونتاجهم العلمي الهائل، فقال: "لقد استطاع المسلمون أن ينشروا العلوم والمعارف والرقيَّ والتمدُّن في المشرق والمغرب، حين كان الأوروبيون آنذاك في ظلمات جهل القرون الوسطى" .

❖ب) مستشرقون أسلموا:

سنحاول الآن بعد تمحيصنا لمجموعة هامة من الكتب و المقالات أن نعرج على بعض المستشرقين الذين أسلموا، حيث نبحث في أسرار اعتناقهم للإسلام وميولاتهم الفكرية، وإسهاماتهم في الدعوة، وملامح تأليفهم في الدراسات الإسلامية:

1- نصر الدين دينيه (الفونس إيتيان دينيه):

هو الرسام العالمي" **ألفونس إيتيان دينيه**" (وُلِد في باريس عام 1861من أبوين مسيحيين كاثوليكيين، شب وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران، ولكن على مر الزمن كان يستوليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية، خصوصًا عندما يفكر في مصيره؛ مما دعاه إلى

السعي جاهدًا في البحث والتأمل والتفكير في الكون، وفي النصوص المقدسة، لذلك فكَّر في المسيحية وفي الكنيسة، وفي البابا المعصوم، وفيما تربَّى عليه من عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران[1].

وبعد أن عَقَدَ عِدة مقارنات بين الإسلام والمسيحية في موضوعات تتعلق بالألوهية والصلاة والتسامح والعلم، انتهى به المطاف إلى أن أعلن رسميًّا إسلامه عام 1927م[2]

2- عبدالواحد يحيى غينون (رينيه غينون) :

وُلِد الفنان والفيلسوف "**رينيه غينون**" في فرنسا عام 1886 م، وهناك نشأ على الكاثوليكية، وكان شغوفًا بالاتجاهات الروحية، ولذلك انضم إلى الكنيسة الغنوسطية الفرنسية ثم غادرها، كما انضم إلى الماسونية التي كان يعتبرها إحدى المؤسسات العرفانية الكبرى في العالم، ومع حب "**غينون**" وتعلُّقه بالكاثوليكية، إلا أن الأمر انتهى به إلى تركه للكاثوليكية، وإشهار إسلامه عام 1912م وتغيير اسمه إلى **(عبدالواحد يحيى)**.

هذا بجانب الآلاف الذين اعتنقوا ويعتنقون الإسلام في عصرنا الحالي وبشكل يومي، فهذه إشارة بسيطة لمن اعتنق الإسلام من المستشرقين ، وبرغم أن الكثير من الغربيين في هذه الأيام قد اعتنق الإسلام، مثل:

---

[1] محمد عزت الطهطاوي/ لماذا أسلم هؤلاء؟ ص63

[2] نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ص162

- ✓ يوسف إستس (القس الأمريكي السابق).
- ✓ جوته (الشاعر الألماني).
- ✓ كيث مور (بروفيسور علم الأجنة).
- ✓ كينيث جينكينز (القس الأمريكي السابق).
- ✓ كات ستيفس – سامي يوسف (المطرب البريطاني).
- ✓ ركس إنجرام (المخرج السينمائي العالمي).
- ✓ محمد على كلاي (الملاكم العالمي).

الخلاصة:

ساعَد وضوح الإسلام، وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم، فأصبح كثير من الفنانين المستشرقين مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسِّر به السبب في عدم تنصُّر أيَّة أمَّة بعد أن رضيت بالإسلام دينًا سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة .

في النهاية لا أجد قولا أختم به أفضل مما قاله "**جورج سارتون**" في كتابه "**حضارة العرب**"[1] إذ يقول:

"لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين ظلت الأولى حوالي ألفي(2000) عام قبل اليونان وعاشت الثانية طوال أربعة قرون خلال العصور الوسطى وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد " !!

[1] موقع قصة الاسلام , تحت اشراف الدكتور راغب السرجاني.

III- الإطار التطبيقي:

I- القراءة السيميولوجية لعينة من اللوحات الفنية الإستشراقية

1-1- التحليل التعييني والتضميني للوحة ﴿**نساء الجزائر داخل غرفتهن**﴾ للفنان الفرنسي ﴿**أوجين دولاكروا**﴾

2-1- نتائج ما بعد القراءة السيميولوجية للعينة المقترحة

II- نتائج الدراسة

- **ملخص الدراسة**
- **الملاحق**
- **الخاتمة**
- **المصادر و المراجع**
- **الفهرس**

تمهيد

في هذا الجانب التطبيقي سوف نقوم بقراءة سيميولوجية لعينة من اللوحات الفنية الاستشراقية، وفق مبدئين سيميائين مهمين يعتمدهما كل منقب وباحث عن الدلالات الكامنة وراء أي لوحة فنية، وهذين المبدأين تنتقل بهما لوحتنا والمتعلقة بتمظهر المرأة الجزائرية للفنان المستشرق الكبير الفرنسي "**أوجين دو لاكروا**" والموسومة ب " **نساء الجزائر في مخدعهن**" من العالم الظاهري إلى عالم مليء بالخبايا وغامض بالخفايا، إلى عالم منفتح على كل تأويل، إنهما مبدأي التعيين والتضمين.

بالعودة إلى السياق التاريخي، "**دولاكروا**" اكتشف الشّرق الذي كان يبحث عنه في المغرب، ولم يُقم في الجزائر العاصمة أكثر من أربعة أيّام التقط فيها ألوان وأنفاس المدينة، ورسم لوحة واحدة عنها، هي أرشيف أوروبا الأوضح للنّظر في وجه المرأة الجزائرية آنذاك هي " **لوحة نساء الجزائر**".

إن الزائر لمتاحف أوروبا ومتاحف فرنسا وخاصة متحف اللوفر بالعاصمة الباريسية تحديدا، سيظل منبهرا ومدهوشا أمام ما أبدعته ريشة الفنانين المستشرقين عن العالم الشرقي وعن الجزائر، إذ تبدوا أعمالهم كأنها مرآة للماضي، كأنها صورة رقمية، كيف رسموا بتلك الروعة والدقة التي تشبه محاكاة الواقع؟

"**أوجين دو لاكروا**" رسم لوحته مع بداية احتلال الجزائر، وتطلّب الأمرُ زيارةً واحِدة إلى الشرق ليتغيّر عمل "ديلاكروا" إلى الأبد!..

امرأة كانت لا تخجل من التّزيّن، -**حسب دولاكروا**- لا تخجل من التّدخين أو من مواجهة الرّجل، امرأة كانت تنظر للأعلى، امرأة كما أرادتها الريشة الأوروبية.

والسؤال الأهم هو كيف استطاع الفنان اقتحام عزلة نسوة الجزائر في مجتمع إسلامي محافظ حد النخاع؟

ستجيبنا قراءتنا السيميولوجية عن هذا السؤال من خلال مبدأي التعيين والتضمين، فالمبدأ الأول وأقصد **المبدأ التعييني** يطرح سؤالا مفاده:

ماذا تقول اللوحة؟

وهو ما ستجيب عليه القراءة الوصفية للوحة.

أما المبدأ التضميني فسيطرح سؤالا مغايرا مفاده: كيف قالت / هل قيل / ما تقول/ اللوحة ؟

والإجابات نجدها بالقراءة التأويلية للوحة والتي تبحث في طياتها التركيبية و دلالاتها الضمنية من خلال مجموعة من الأسئلة[1] أبرزها:

- هل استرعت اللوحة انتباهك ؟
- هل أثرت فينا اللوحة؟
- هل توجد علاقة بين الصورة والمضمون؟

[1] عبد الحق بلعابد -سيميائيات الصورة-بين أليات القراءة وفتوحات التأويل – ص149-150

I-القراءة السيميولوجية للوحة" **ثلاث نسوة جزائريات داخل مخدعهن**" المشهورة باسم: " **نساء الجزائر**"

للفنان الفرنسي "**أوجين دو لاكروا**" (Eugène Delacroix)

لوحة "ثلاث نسوة جزائريات داخل غرفتهن" للفنان الفرنسي " أوجين دو لاكروا "

أولا/ القـراءة التعـيينـية:

1- الأبـعاد التـــاريخية للوحـة الفنـية ﴿نسوة جزائريات داخل غرفتهن﴾

أوجين دو لاكروا، (Eugène Delacroix) هو صاحب اللوحة التي نحن بصدد دراستها، فهو زعيم المدرسة الرومانسية وخريج مدرسة الفنون الجميلة بفرنسا، فبعد الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة 1832 م قام الفنان برحلة إلى المغرب الأقصى حيث كان ضمن وفد الكونت "**دي مورناي**" مبعوث ملك فرنسا إلى السلطان "مولاي عبد الرحمان" لحثه على اتخاذ جانب الحياد من غزو الجزائر والحرص على الوقوف إلى جانب فرنسا في حملتها الاستعمارية.

كانت دعوة الكونت بمثابة رحلة العمر لدولاكروا، لتحقيق حلمه المنشود الحلم الرومانسي برؤية الشرق، غير أن المهمة قد باءت بالفشل.

ستة (06) أشهر أمضاها "**دولاكروا**" في المغرب العربي، لم تشغل المهمة الدبلوماسية إلا بضعة أيام منها، وفي الواقع أن هذه الرحلة لم تخدم الهدف الرسمي السياسي الفرنسي بقدر ما أفادت "**دو لاكروا**" لرسم أكثر من 100 لوحة شرقية تعد أرشيف القارة الأوروبية الأوضح للحرم الشرقي.

في حقيقة الأمر الفنان لم يمضي بالجزائر أكثر من عدة أمسيات فقط التقط فيها ألوان وأنفاس المدينة، فبعد إقامته بطنجة زار "**مكناس**" ثم

الأندلس، ورجع بعدها إلى "**وهران**" التي أقام بها فترة وجيزة، ثم أقام بالجزائر لمدة 03 أيام فقط تحديدا من (25 إلى 28 جوان1834).

بالعودة إلى السياق التاريخي وحتى نفهم كيف استطاع الفنان أن يرسم النسوة الجزائريات وهن داخل غرفتهن نجد احتمالين اثنين لا ثالث لهما.

الاحتمال الأول: فهو أنها صورة إما من وحي خيال الفنان أو نظرة مسروقة، فعشق "**دولاكروا**" الأزلي لحضارة بلاد الشرق و ولعه بجمال وحسن نساء الشرق كان الدافع الرئيسي وراء رسمه لهذه اللوحة.

الاحتمال الثاني: فهو الاحتمال الأكثر ورودا، وهو أن الفنان "دولاكروا" قد تعرف على مسؤول ميناء العاصمة السيد "**بواريل**" الذي عرفه بدوره على أحد عماله من الطبقة الفقيرة، وبعد محادثات مطولة معه سمح لدولاكروا برسم حريمه ، ولعل الفنان كان تحت الضغط أثناء الرسم، حيث كانت رسوماته الأولية عبارة عن خطوط ومنحنيات وكلمات عديدة تدل على نوعية الألوان والوضعيات المختلفة كما هو واضح بالرسومات الواردة بملحق الصور.

أ- **الفنان صاحب اللوحة؟**

أوجين دو لاكروا، (Eugène Delacroix) هو زعيم المدرسة الرومانسية وخريج مدرسة الفنون الجميلة بفرنسا، وقد ولد بمقاطعة "**بشارونتون**" سان موريس (Charenton –Saint Mourice) سنة 1798م وتوفي سنة 1863 بباريس [1] **paris**، عاش **65 سنة** وهو بذلك أبرز فنان رومانسي في حقل الاستشراق وعلى امتداد مسيرته الفنية أنتج أكثر من 850 عملا فنيا.

رسم "**دولاكروا**" في رحلته للمغرب مئات وربما آلاف الرسوم ومن دون توقف، معظمها بالقلم الفحمي، وبعضها بالألوان المائية، وملأ دفاتر كاملة بالملاحظات التشكيلية حول مشاهداته، الأمر الذي وفَّر له مخزوناً لرسم مئة لوحة ذات مواضيع شرقية[2]، ظلت تشغله على مدى 31 سنة على تلك الرحلة حتى يوم وفاته.

---

[1] Lynne Thornton–**la femme dans la peinture orientaliste**–traduction ; Jérôme Coignard et Yves Thorval– ACR édition– paris– p227

[2] زينات بيطار– المرجع السابق– ص228

ب- **ما قاله دولاكروا عن المغرب والجزائر**

- ✓ "إن هذه الأماكن خلقت للفن فقط، عبارة كتبها "**دولاكروا**" لصديقه "**يبريه**" من طنجة واصفا سعادته بتحقيق حلمه الذهبي.
- ✓ أنه يرى بأم عينه ويصور مظاهر غرابة هذا الشعب وحيوية روحه.
- ✓ وكتب **دولاكروا** لاحقاً، معلقاً على المشهد الشرقي: كان مكاناً جميلاً، أشبه بمعبد هوميروس.

ج- **ما قاله عمالقة الفن الاستشراقي عن لوحة دولاكروا**

- **فيكتور ايغو "Victor Hugo"**

عمل فني أشبه بسماء مرصعة بالنجوم المتلألئة، مزيج من القبح الجميل الخاص بالمخلوقات الأنثوية في أعمال "دولاكروا".

- **بول سيزان "Paul Cézanne"**

ذلك الإبداع الذي يحاكي الواقع، ذلك الحذاء، تلك الألوان الشاحبة، تلك الأشياء المرمية في الخلفية، كلها للوهلة الأولى تجعلك تشعر – بالثمالة–.

- **أوغست رونوار"Auguste Renoir"**

باختصار أجمل صورة لا صورة أجمل منها لا من قبل ولن تأتي من بعد.

- **شارل بودلير"Charles Boudelaire"**

عطر فواح ينبع من هذه القصيدة المحكمة(يقصد لوحة نساء الجزائر) و المليئة بالسكون يعطر جو ذلك المكان المليء بالأحزان.

- **ماذا قالت الكاتبة آسيا جبار عن لوحة دولاكروا:**

آسيا جبار كاتبة نشرت مجموعة قصصية سنة 1980 تحت عنوان (نساء الجزائر في مخدعهن) حيث جاءت كتاباتها على شكل حوار بين اللوحة والنص.

- إن روعة لوحة "**دولاكروا**" لا تكمن في دقة رسمها ولا في محاكاتها للواقع، ولا تكمن أيضا في سحر المرأة الشرقية ولا في الرفاهية التي كانت تعيشها، بل السر في اللوحة أنك تحس عند النظر إليها كأنك تختلس النظر لحرمة غيرك فلا يحق لك استراق النظر.

ح- حامل اللوحة وتقنية الرسم:

لوحة زيتية على قماش ، وبعد 15 سنة أعاد "دولاكروا" رسم نسخة أخرى اللوحة ولكن باستخدام قماش Chevalet وجملة خفيفة من التغييرات شملت مباعدة في المسافة بين النسوة، هذه النسخة موجودة في متحف **مونبلييه** الآن.

خ- الشكل والحجم:

مقاس اللوحة الأصلية هو (180x229 سم)، أما النموذج المصغر (21x26 سم) أما نسخته الثانية والتي باعد فيها بين النسوة فكان حجمها (112سم x 80سم) موجودة في متحف فابر **بمونبيلييه**.

2- <u>الجانب التشكيلي:</u>

أ- القراءة البصرية للوحة:

- للوهلة الأولى تظهر لنا ثلاث نسوة جزائريات بلباس عثماني على سجادة شرقية وداخل غرفة مغلقة مع وجود امرأة سوداء البشرة واقفة تظهر في هيئة الخادمة، إذ تسترعي الانتباه المرأة المستلقية على اليسار والتي ينعكس الضوء عليها بشدة، حيث صورها تجلس على زربية متعددة الأشكال و الألوان.
- النسوة الثلاثة يرتدين أبهى الحلل والمجوهرات وملابس شرقية جميلة وواسعة وفضفاضة ومتعددة الألوان.
- على اليمين تبدوان المرأتان اللتان تجلسان القرفصاء تتبادلان أطراف الحديث مع بعضهما.
- أما الخادمة تظهر لنا وهي مستديرة نحو الوراء وهي تزيح ستارا يبدوا ثقيلا نوعا ما، بحيث يظهر لنا ظهرها فقط وجانب من وجهها وهي موجهة نظراتها نحو المرأة المستلقية التي تتكئ غير مبالية على وسائد حريرية.

- أما الجمادات فهي كثيرة، إذا بدأنا من الأمام ظهر لنا 03 نعال مبعثرة اثنان منها برتقالي اللون والثالث أحمر مزين بخيوط ذهبية، يبدو أنه ملك للمرأة المستلقية، وبجانب النعال نجد (الرنجيلة).
- على الجانب الأيسر من أعلى اللوحة ينبعث ضوء لعل مصدره من الخارج وهو يضيء بعض لأرجاء الغرفة.
- تظهر بوضوح الرسومات الزخرفية على الجدار الرخامي إلا أنه يمكن أن نلمح بريق الأواني النحاسية فوق(القبو) وداخل الخزانة الحمراء شبه المفتوحة.
- بالرغم من أن ديكور الغرفة قد يبدو قديما ورثا إلا أنه يوحي بنوع من الترف والبذخ الذي كن يعشنه النسوة.

- مكتوب في أسفل اللوحة على الجهة اليمنى باللغة الفرنسية وباللون الأسود DELACROIX-F .EUG1834

ب- زاوية النظر:

تعتبر لوحة "**دولاكروا**" لوحة غنية جدا بالتفاصيل، فهي تضم أربع أجسام بشرية كبيرة الحجم قريبة للنظر بزاوية رؤية أفقية وطبيعية جدا، وكأنها صورة فوتوغرافية لم تمثلها ريشة فنان، في حين تترك بعض التفاصيل في الخارج مثل خطوط الحائط، الظل، السجادة، المرآة، كتف المرأة ..الخ.

يضم المشهد أربع أجسام بشرية كبيرة الحجم قريبة للنظر، واضحة، أما الأجسام الجامدة يتراوح حجمها بين ما هو صغير ومتوسط وقريبة وبعيدة.

ت- دلالات الخطوط وتركيب الأشكال:

- "**دولاكروا**" استخدم أغلب أنواع الخطوط التي يمكن أن نراها في الطبيعة، ولكنه ركز أكثر على الخطوط المنحنية تعبيرا على الأنوثة.
- الخطوط الأفقية فهي كثيرة، فوضعية النسوة الجالسات هو تشكيل لخطوط أفقية دالة على الاسترخاء والهدوء والراحة.
- بالحديث عن الخطوط الرأسية فأغلبها جاءت لتظهر حجم الغرفة كما أن وضعية المرأة السوداء الواقفة توحي بالضعف والتواضع.
- بالنسبة للأشكال نلاحظ أن وضعية النسوة الثلاث يشكلن شكلا هندسيا ثابتا أقرب في تكوينه للهرم، فوقار النسوة الثلاثة وهدوؤهم يعطي إحساس بالرسوخ والاستقرار .
- تمثيل الفنان للنسوة ببشرة بيضاء وهن جالسات بملابسهن البهية في حالة من الترف، بالمقابل المرأة ذات البشرة السوداء واقفة بملابس رثة توحي بالتمييز العرقي والعبودية الذي كانت تعرفه البلاد في ذلك الوقت.

ثـانيا/ القـراءة التضمـينية:

1- الدلالات التعبيرية في اللوحة:

حتى نتعرف الدلالات التعبيرية الكامنة وراء الملامح التي أعطاها الفنان للنسوة، يجب علينا أن نمر بهده المرحلة المهمة(القراءة التضمينية) والتي من خلالها نستطيع تحليل المضمون وكشف النوايا التي أراد الفنان "دولاكروا" أن يلمح لها بطريقته الخاصة.

- لماذا هؤلاء النسوة ينظرن إلى وجهات مختلفة؟

لذلك قسمنا النسوة إلى 03 مجموعات مختلفة باختلاف طريقة نظرهن.

فكما لاحظنا في اللوحة الفنية فالنسوة الثلاث جالسات على الأرض في ثبات ووقار دون حراك، بحيث تظهر المرأة المستلقية بعيدا على يسار اللوحة تظهر وكأنها توشيح بنظراتها إلى الفنان الذي كان يرسمها، فهي تبدو غير مهتمة بالأخريات وهي أيضا لم تنزع حذائها بخلاف المرأتان اللتان بجانبها إنها تبدو كأنها مستغرقة في حلم جميل، كأنها تفر من واقعها، كأنها تريد العزلة و الانطواء بعيدا كأنها حزينة فملامحها تدل على ذلك.

أما المرأتان الجالستان إلى يمين اللوحة فتبدوان كما لو أنهما تتبادلان حديثا شخصيا أو تتهامسان، فيما تمسك إحداهن بالنرجيلة –

وهو منظر نراه كثيرا في اللوحات التي تصوّر المغنيات – بينما أدارت الخادمة ظهرها ناظرة لسيّدتها "في الوسط" وهي تهمّ بالخروج من الغرفة.

ولعلّ أهمّ ملمح في هذه اللوحة هو حركة الألوان والأشكال فيها وتلقائية أشخاصها وعفوية تفاصيلها، وحتى الخادمة تبدو مترددة بين الخروج والبقاء ويظهر ذلك من خلال التفاتتها وكذا تقديم رجلها اليسرى وتأخير الرجل الأخرى، كأنها تريد البقاء أو قول شيء ما، فحيوية ونشاط الخادمة أظهرت سلبيات النسوة الأخريات اللواتي ملئهن الملل و العيش الرتيب والركود والخمول وحتى النعاس والضجر.

2- الأبعاد الضمنية و الصريحة في اللوحة الفنية:

إن لوحة "**دولاكروا**" تحمل في طياتها الكثير من المغالطات عن عالم الحريم الشرقي، والتي لا تظهر للعيان إلا من خلال التعمق في القراءة الضمنية، فما نراه تلاعبا بالألوان والأشكال ظاهريا يكون في الأصل تلاعبا دراميا بأحاسيسنا وانطباعاتنا، حيث يمكننا توضيح ذلك في نقاط أبرزها:

أ) التلاعب بالضوء: (jeux des lumières)

من ناحية **التظليل** و **الضوء** فدولاكروا استغلهما بشكل جيد، في تبيان حجم و عمق الأجسام سواءا البشرية أو الجامدة، حيث نرى أنه استعمل الألوان الداكنة التي تمتص الضوء في خلفية الصورة ليعطي بروزا للموضوع الرئيسي، أما الغريب في الأمر من ناحية التظليل والضوء هو ذلك الضوء الذي يقابل المرأة المستلقية على اليسار بالرغم من أنها تدير ظهرها للضوء المنبعث في أعلى الغرفة، بالإضافة للظل الموجود على حنايا وجهها لعل ذلك الضوء منبعث من الجهة المقابلة للغرفة ، بالرغم من أن ذلك من الناحية المنطقية يمكن أن يضيء خلفية الغرفة التي أرادها الفنان أن تكون مظلمة.

ب) رفع المحسوس إلى مرتبة الملموس (Texture):

استطاع الفنان أن يعبر عن أنواع مختلفة من الملمس في لوحته وحتى في التعبير عن البشرة – بشرة النسوة مثلا- فوجوه النسوة الخالية من أي

خطوط يعطي احساسا بنعومة بشرتهن، وأيضا استعمل الألوان التي تمتص الضوء لإظهار شفافية القماش ونوع المعادن البراقة كالذهب والنحاس.

كما يمكننا الشعور بخشونة ملمس الزرابي من خلال الخطوط القصيرة المختلفة الاتجاهات.

ت) دلالات الفراغ عند "دولاكروا":

لم يترك الفنان مكانا دون أشكال معبرة، فاللوحة جاءت تقريبا مليئة بالأجسام، حتى ذلك الفراغ الممكن ملاحظته فهو يرمز إلى دلالة معينة، فمثلا الفراغ الطفيف بين المرأة السوداء وإطار اللوحة جاء ليعبر عن حركتها.

ث) ترتيب الأشكال في اللوحة:

نقصد بذلك جوهر الصورة أو المضمون الرئيسي المراد التعبير عنه، ففي دراستنا للوحة "**نساء الجزائر**" يظهر الشكل في شخص النسوة بمختلف وضعياتهن، إضافة إلى الموقد والنعال المتناثرة، أما الخلفية فهي أرضية الغرفة بكل ديكورها .

كتعقيب يمكننا القول أن ترتيب الأجسام في اللوحة جاء من اليسار إلى اليمين لأن صاحبها فرنسي الجنسية يكتب باللغة الفرنسية (تبدأ من اليسار نحو اليمين) .

وهذا أيضا تدرج يعطي ترتيب منتظم للوحة بحيث لا يشتت النظر ولا يتعب العين ويبعث على الهدوء أيضا.

ج) التوازن في اللوحة:

لوحة "**دولاكروا**" قريبة للتوازن بالرغم من الظلمة الغالبة عليها، فهو استعمل الكثير من الألوان الثقيلة(القاتمة)، كما استعمل ألوانا خفيفة(فاتحة) لكن بنسبة أقل فقط لإضفاء بعض الضوء على اللوحة، ولكنه افتعل ذلك حتى نحس بذلك الجو الدرامي الذي يخص بيئة اللوحة.

ح) الانسجام والترابط:

يتلخص ذلك في السؤال عن الهدف من الصورة، بما أننا نعتمد على القراءة السيميولوجية للصورة يمكننا أن نلاحظ تلك الوحدة في تقارب النسوة أو حتى تلاقيهن عند وجهة نظر واحدة، على خلاف المرأة المستلقية البعيدة عنهن سواءا في المكان أو حتى طريقة التفكير.

خ) الفحوى من اللوحة:

هو العنصر الأكثر بروزا في اللوحة ويمكن تحديده من خلال عدة نقاط:

- ✓ شدة الإضاءة أو تسليط الضوء على موضوع معين (النسوة مثلا في دراستنا).
- ✓ الإنعزال (مثل المرأة المستلقية في لوحة "**دولاكروا**").

✓ القرب (مثل المرأة المستلقية بعيدة عن الأخريات وقريبة من إطار الصورة)

- من خلال النقاط السابقة يمكن القول أن النسوة الثلاث يمثلن المغزى ومركز الاهتمام باعتبارهن مضمون اللوحة.

3- دراسة المضمون:

أ- هل يعكس العنوان مضمون اللوحة الفنية:

العنوان الذي اختاره الفنان "**دولاكروا**" هو **"نساء الجزائر داخل غرفتهن"**

(Les femmes d'Alger dans leur appartement)

وهو عنوان معبر جدا عن ما تبديه اللوحة بنظري، بحيث تظهر أربع نسوة بمختلف الوضعيات، مرتديات أزياء تقليدية جزائرية عثمانية، بالإضافة إلى ديكور الغرفة الخاص بمنازل العائلات الجزائرية، مما يثبت أنهن جزائريات.

ب- لماذا رسم الفنان اللوحة:

"**دولاكروا**" هو زعيم المدرسة الرومانسية ، قد سعى جاهدا لرسم الحرم الشرقي طيلة حياته، عشق "**دولاكروا**" الأزلي لحضارة بلاد الشرق و ولعه بجمال وحسن نساء الشرق كان الدافع الرئيسي وراء رسمه لهذه اللوحة.

II- **نتائج التحليل:**

في حقيقة الأمر لوحة "**دولاكروا**" الفاتنة الموسومة بعنوان "**نساء الجزائر داخل مخدعهن**" هي نظرة مسروقة.

لأنها تضعنا أمام تلك النسوة اللواتي تقبعن في غرفتهن مع خادمتهن، في تلك الوضعية التي ليس لنا الحق في النظر إليها.

وفعلا نجح الفنان في اخراج هذه اللوحة إلى العالمية وكشف سر الحرم الشرقي المتحفظ، والذي يحرص فيه الرجل الشرقي المسلم على إبعاد زوجته وأمه وابنته وأخته عن أعين الغرباء.

يمكننا إدراج ذلك في النقاط التالية:

- الفنان رسم ذلك الجانب الممنوع من المجتمع الإسلامي في ظل وصاية الحكم العثماني بسبب ذلك الفضول الرومانسي لديه.
- نجح الفنان في إظهار أفكاره الرومانسية الاستشراقية المغرضة من خلال وصف جسد النسوة عن طريق منحنيات منسابة ومتموجة معبرة عن الأنوثة، من خلال تلاعبه بالضوء والظل كأنه اتبع تقنية الإضاءة في المسرح.
- لوحة "**دولاكروا**" مزيج من الحس الرومانسي الساحر بنكهة الذوق الإسلامي الذي يمثله غالبا فن المنمنمات الإسلامية.
- مثل الفنان "**دولاكروا**" نساء الجزائر داخل غرفة مغلقة وشبه مظلمة مصورا إياها كأنها محبوسة، وبصيص الضوء المنبعث من الخارج

ما هو إلا الأمل ورمز النجاة القادم من طرف الرجل الغربي الذي صورته الأسطورة الشرقية على أنه الرجل الذي سيأتي لينقذ المرأة من العنف الذي يمارسه الرجل الشرقي حسب ظن الغرب.

ملخص الدراسة:

استعمل الفنان الفرنسي "**دولاكروا**" لغة واضحة المعالم لتشكيل لوحته الفنية باستخدام لغة الألوان والضوء والخطوط والأشكال والملمس واحترامه لقوانين التشكيل، لإيصال المتلقي فكرة واضحة عن الصورة المراد التعبير عنها.

أبرز الفنان المرأة الجزائرية في حيز مكاني مغلق (الغرفة)، لإثبات الأسطورة الشرقية التي نسجها الغرب من خلال حكايات "**ألف ليلة وليلة**" بأن المرأة سجينة الحرم الشرقي ذو الجدران العالية، وهي قابعة على الأرائك ووسائد من حرير، تحت إمرة الرجل الشرقي الذي يمارس العنف عليها، في انتظار الرجل الغربي الذي سينقذها من براثنه، ومنه نستنتج أن الفنان الفرنسي "**أوجين دولاكروا**" قد تأثر بالتصورات التي نسجها الباحثون المستشرقون عن المرأة الشرقية.

لوحة "**دولاكروا**" جاءت بعد سنتين (02) فقط من احتلال فرنسا للجزائر، فقد استغل الفرصة في التقليل من شأن المجتمع الجزائري المسلم من خلال الرموز الشرقية التي وظفها في خدمة السياسة الاستشراقية الاستعمارية.

قدم "**دولاكروا**" صورة مختلفة عن المرأة الجزائرية تبتعد كل البعد عن الصورة الحقيقية للمرأة الجزائرية المسلمة، وذلك بكشفه عن الكثير من عورتها وإظهارها في صورة تثير إغراء المشاهد.

لوحة "**دولاكروا**" توضح لنا نسوة متعجرفات حزينات يملئهن الملل والعيش الرتيب، وهو أصلا لم يكن في وضع يسمح له بالتعبير عن النفسية الحقيقية للمرأة الجزائرية، فهو لم يقضي سوى ثلاثة (03) أيام في الجزائر.

لوحة "**نساء الجزائر في غرفتهن**" للفنان الفرنسي "**أوجين دولاكروا**" لاقت شهرة عظيمة لسببين: أحدهما رئيسي أما الآخر فثانوي، أما السبب الثانوي فهو أنها –من الناحية الفنية– تعتبر عملا رائعا، أما السبب الرئيس في جعلها ذائعة الصيت وإعادة رسمها من قبل رسامين مشهورين، هو أنها لبت أغراض الغرب وعبرت عن أفكاره لتمرير أهدافه الاستعمارية، بتركيزها على موضوع المرأة الذي يعتبر عصب المجتمعّ، فهي الأم المربية، والزوجة الملازمة لزوجها، والأخت، والابنة، وحرمة الرجل الشرقي.

- كل شيء في لوحة دولاكروا يتناغم كأن لوحته سمفونية مزينة تعطي انطباعا مزيفا للواقع على شكل بضاعة رخيصة، فدولاكروا باع نفسه وفنه فهل يعقل أن تقبع تلك النسوة في ذلك الجو الرتيب والهادئ سنة 1834 والمدافع لا تزال تدك أسوار العاصمة بطريقة همجية لا تصدق، أيها المستشرقون، ملئتم فكرنا كذبا وتزويرا وتلفيقا، سيقتمونا الجهل أوعية سقيتمونا الكذب أدعية، مللنا السقي والساقي.

بورتريه شخصي للفنان ﴿أوجين دولاكروا﴾ (Self-Portrait)

الحرية تقود الشعوب للفنان ﴿أوجين دولاكروا﴾

Liberty Leading the People

﴿Eugène Delacroix﴾

(28th July 1830) 1830

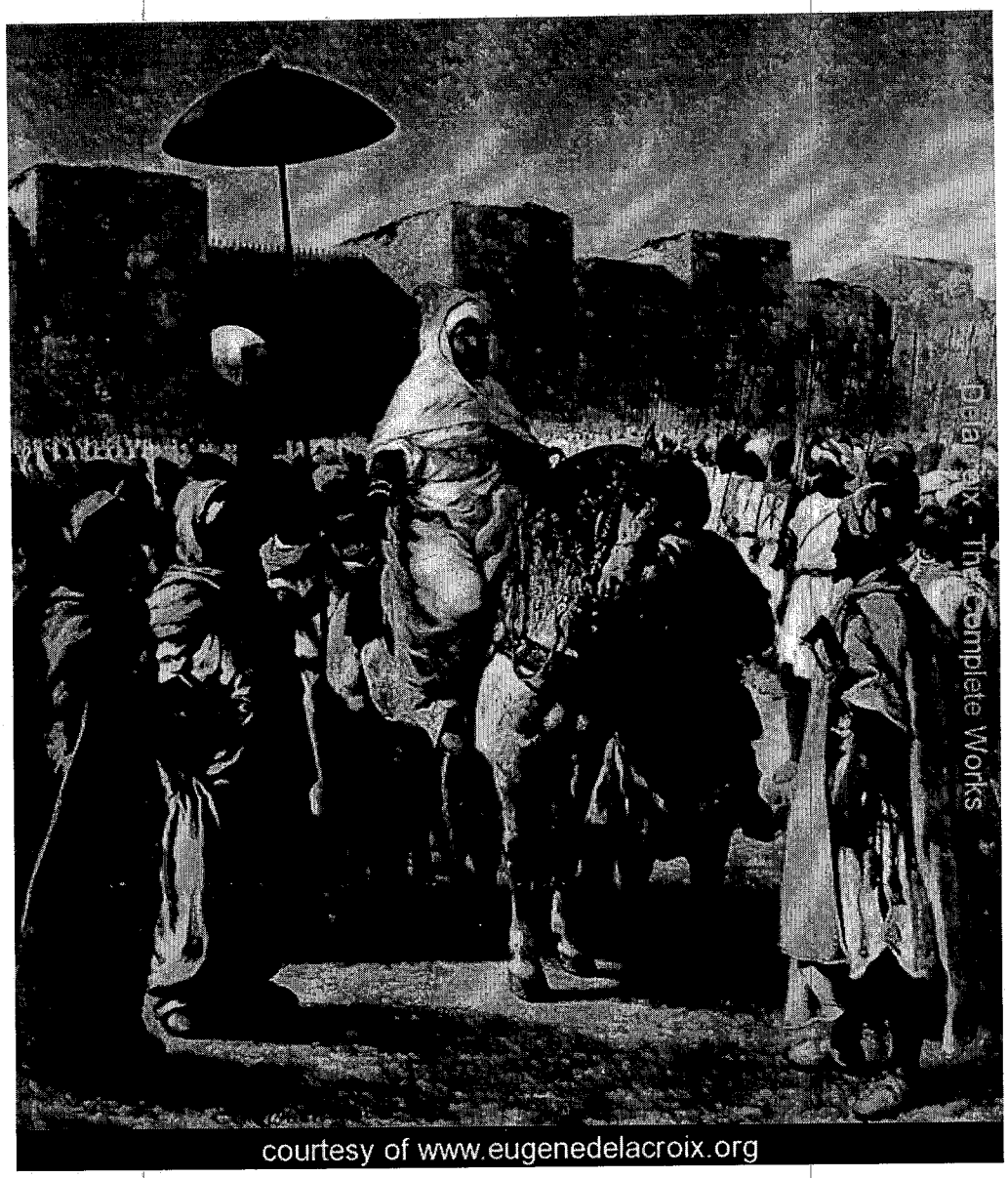

سلطان المغرب خارج قصره محاطا بالحرس﴿أوجين دولاكروا﴾

The-Sultan-of-Morocco-and-his-Entourage﴿Eugène Delacroix﴾

نساء مغربيات عام 1832 للفنان ﴿أوجين دولاكروا﴾

Moroccan Women 1832 ﴿Eugène Delacroix﴾

منى بن سلطان 1832 ﴿أوجين دولاكروا﴾

Mounay-ben-Sultan-1832

﴿Eugène Delacroix﴾

العبارات والكلمات الموجودة في خلفية اللوحة هي ما سيساعد الفنان على تذكر كل صغيرة قد تفوته وذلك عند العودة إلى مرسمه ، فهو كان يكتب تلك الكلمات للدلالة عن تركيبة الألوان وتراكب الأشكال و الملامح والوضعيات المختلفة.

courtesy of www.eugenedelacroix.org

مغربيان يجلسان في الريف ﴿أوجين دولاكروا﴾

Two Moroccans Seated In The Countryside

﴿Eugène Delacroix﴾

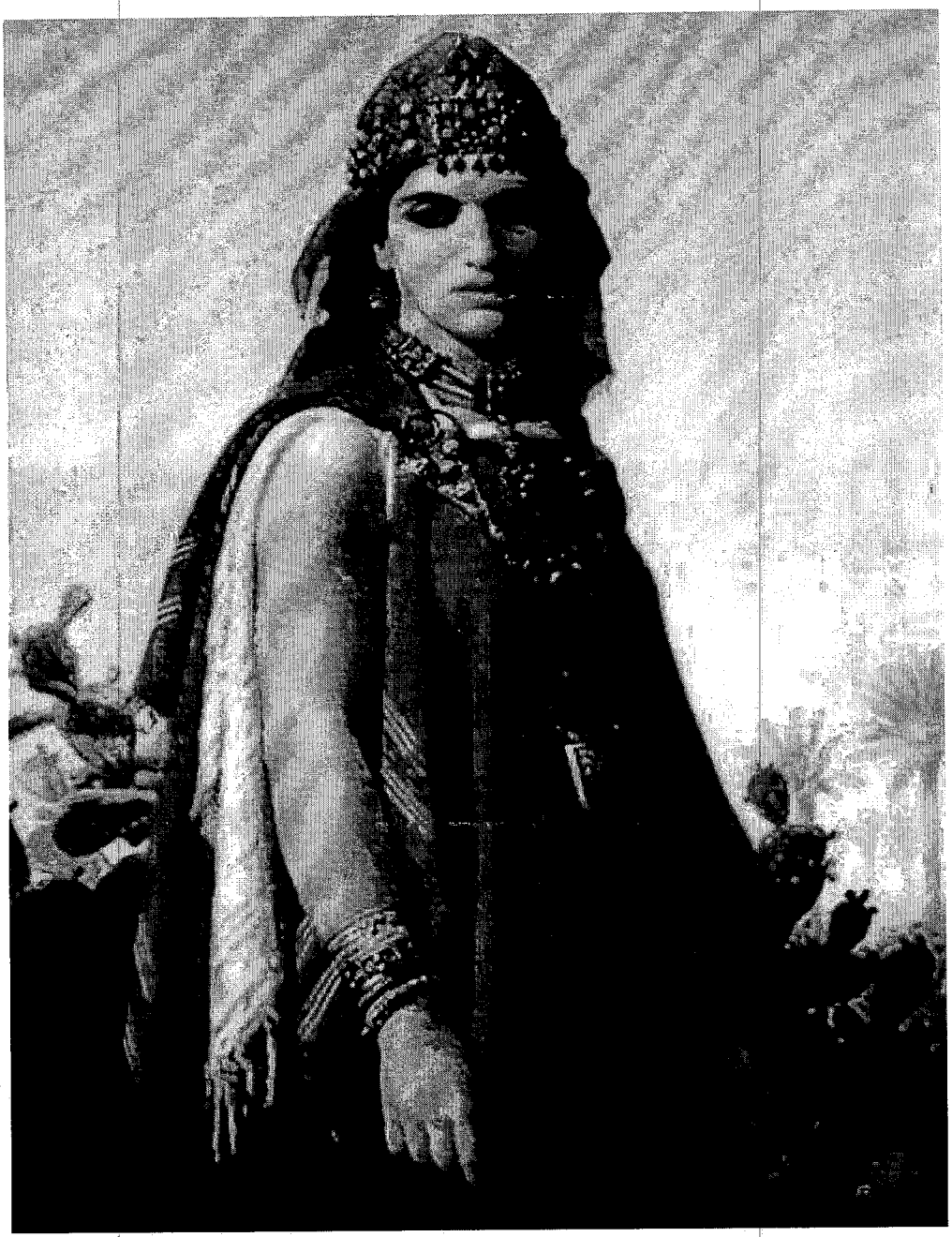

لوحة امرأة امازيغية للفنان

﴿"إميل فرنيت لوكونت"﴾

زوجة فلاح تحمل طفلها للفنان

﴿"إميل فرنيت لوكونت"﴾

Femme fellah portant son enfant 1864

لوحة **"نساء الجزائر"** التي أنجزها بيكاسو بين 1954 و1955، والتي تنتمي إلى سلسلة من اللوحات التي رجع فيها بيكاسو للوحة الفنان **أوجين ديلاكروا** المشهورة و التي عرضت سنة 1834 الموسومة **" نسوة جزائريات داخل غرفتهن"** حيث بيعت كأغلى لوحة في العالم بمدينة نيويورك واشترتها دولة قطر بما يقارب 180 مليون دولار

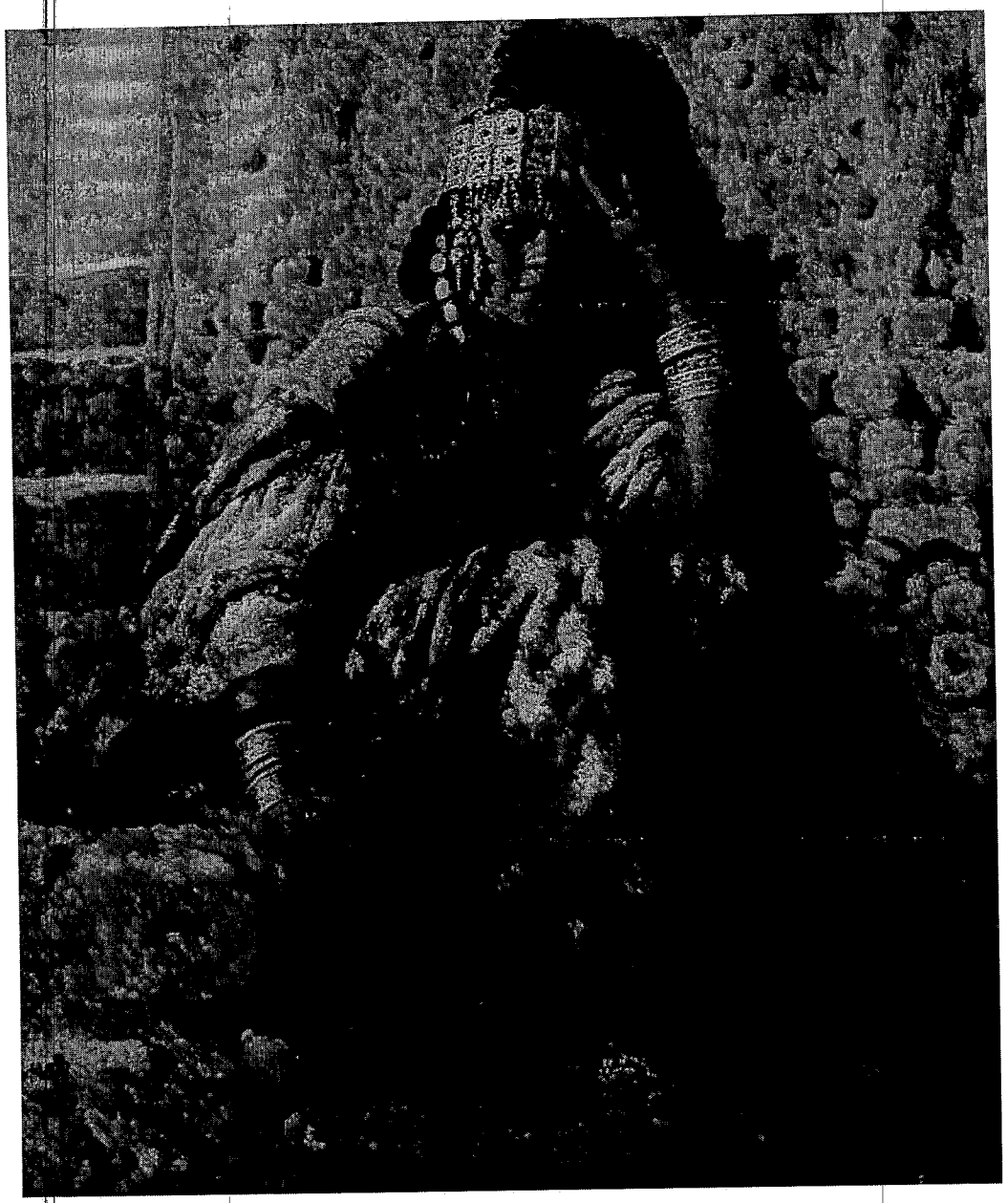

امرأة بوسعادية لنصر الدين دينيه

عام 1905

Etienne Dinent

الخاتمة

دنيئة جدا تلك الطريقة التي استغل بها الفنانون المستشرقون اللوحة الفنية لتمرير أهداف المؤسسات الاستعمارية، حيث تنوعت تلك الأهداف تبعاً لديانتهم، وطموحاتهم الشخصية، إلا أن الهدفين الديني والاستعماري غلبا على سائر الأهداف، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار الغاشم وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية والنيل من لغتهم، وتشويه عقيدتهم وقيمهم، فلقد ركز معظم الفنانين المستشرقين بعدما وطئت أقدامهم أرض بلدنا الجزائر ووجدوا أنفسهم أمام بيئة ساحرة ترجمها ومثلها العديد منهم في لوحات فنية خالدة، ركزوا على عنصر مهم، حساس وأساسي في المجتمع الإسلامي ألا وهو **المرأة**، التي إذا ما أصابوها أصابوا شريان المجتمع وشلوا حركته، فهي الأم والزوجة والمربية والأخت والابنة... بل هي كل شيء، فقد حاولوا الكشف عنها ووصفها في صورة لا تطابق تعاليم الدين الإسلامي والمجتمع الجزائري، إلا أننا لا ننكر وجود قلة من الفنانين المستشرقين ممن درس المجتمع بتجرد ودون أحكام مسبقة أو توجيه معين (أي كان هدفه علمياً خالصاً)، وهؤلاء كانوا أكثر إنصافاً وأقل تشويهاً للإسلام وللمرأة من غيرهم، بل دخل بعضهم الإسلام ولكن لم نسمع عنهم الكثير لأنهم لم يقدموا صورة الشرق الذي أرادت السياسات الاستعمارية أن تراه.

ربما ليس بعيدا ذلك اليوم الذي سنأخذ فيه زمام المبادرة في دراسة أنفسنا وفق المعايير والقيم الإسلامية، فنمثل أنفسنا أمام أنفسنا ونعرف عيوبنا قبل أن يوجه إلينا الآخرون سهام الكذب والغدر، ولعلنا أيضاً نصل إلى دراسة الغرب ونتعمق في تلك الدراسة.

هذا وأسأل الله عز وجل الذي أعانني على كتابة هذه المذكرة أن تكون عملا خالصاً صواباً، مفيداً لمن أطره ولمن كتبه وقرأه.. آمين.

قائـــمة

المصـــادر

والمـــراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المراجع المكتوبة:

أ- الكتب باللغة العربية:

1-**القرآن الكريم**-رواية حفص عن عاصم-

2- أرنولد هاوز، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا، (مصر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1969).

3- أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 1985

4- أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين ط الثانية ، بيروت ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 1985

5- الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر لإبراهيم مردوخ-طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية-وحدة الرعاية،1988 -الجزائر

6- الاستشراق. إدوارد سعيد. ترجمة: كمال أبو ديب. (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية). ط3 :1991.

7- زينات بيطار-الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي-عالم المعرفة-الكويت-1992

8- إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية : بحث في الجذور التاريخية ، عمان ، دار حنين ، 1992.

9- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير، الاستشراق، الاستعمار. د. عبد الرحمن حسن الميداني. (دمشق: دار القلم). الطبعة السابعة: 1414هـ-1994م.

10- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة 1997 .

11- عبدالله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997.

12- محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية. ط1. 1997م، لقاهرة

13- الاستشراق والمستشرقون "ما لهم وما عليهم"، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط1، الرياض 1420هـ، 1999م.

14- خيري منصور : الاستشراق والوعي السالب ، الطبعة الأولى ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2000

15- إبراهيم محمد إبراهيم صقر : الاستشراق والفلسفة الإسلامية بين التجديد والتبديد ، الفيوم ، دار العلم، 2001.

16- الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، (دمشق: دار قتيبة)، الطبعة 2 ،2002م

17- إبراهيم مردوخ- مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر وزارة الثقافة – الجزائر- 2005م .

18- إبراهيم مردوخ- مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر وزارة الثقافة – الجزائر- 2005 .

19- عماد الدين خليل عمر، المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي، دار التفسير للنشر ، 1429هـ، 2008م

ب- الدراسات والرسائل الجامعية:

1- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال للطالبة – يمينة منخر فيس- بعنوان "صورة المرأة الجزائرية في الفن الاستشراقي – جامعة الجزائر –كلية العلوم السياسية والإعلام –السنة الجامعية 2010-2011

2- سعدية محسن عايد الفضلي-ثقافة الصورة ودورها في لإثراء التذوق الفني لدى المتلقي-دراسة لنيل شهادة الماجستير-قسم التربية الفنية-جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية -2010-

ت-المجلات والدوريات:

1- ابراهيم نبهان-صحيفة المثقف-قراءات نقدية-العدد الصادر بتاريخ 16-10-2013

2- صحيفة البيان-د خالد الخوجة-العدد الصادر بتاريخ 14 فيفري 2017

3- شربل دغر-الفن وتأويله بين الحاصل والمرجع- مجلة علامات- العدد25

4- **(مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية)**جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي العدد 17 ،سبتمبر2016

5- مقالات عن التصوير الفوتوغرافي-غدير شمس الدين - آخر تحديث :12:11 ، 18جانفي 2016

6- أحمد عبد الحميد غراب . رؤية إسلامية للاستشراق.ط2 (بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي ، 1411)

7- مجلة أفاق أدبية بعنوان"المستشرقون وفتنة النساء العربيات"الأحد 14 يوليو 2002-العدد131.

أ- **المراجع باللغة الفرنسية:**

1- Lynne Thornto- les orientalistes peintre voyageurs - traduction Jean de la Hogne- édition ; ACR.Roche couleur - 1994- Paris

2- Brahim Hadj Slimane-La création artistique en Algérie (Histoire et environnement Edition -Alger-2003

3- Christine peltre -orientalisme -éditionl /édigroup-paris-2004

4- Pierre Giraud- la sémiologie- 3eme édition ; que-sais -je ? paris

5-Groupe u - traité de signe visuel- pour une rhétorique de l'image- édition seuil- paris- 1999

6- Primitifs, Ancien Orient, Indo-européens, (Paris, Librairie Aristide Quillet, 1948),

7-Laurent Gervereau – voir , comprendre, analyser les images – édition ; paris1997.

ج- القواميس والموسوعات:

1- المعجم الوسيط: ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

2- موسوعة المستشرقون لعبد الرحمن بدوي –الطبعة الرابعة 2003

3-موسوعة المستشرقون لنجيب العقيقي –الجزء الاول .

4- Le petit Larousse(Français-F)édition-paris-2006-

ثانياً: المراجع والمواقع الإلكترونية الهامة:

1. الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر. حمود عبد الكريم. منتدى المنشاوي للدراسات والبحوث (http://www.minshawi.com/vb)

2. الموسوعة الحرة ويكيبيديا (http://ar.wikipedia.org).

3.http://www.erudit.org/apropos/utilisation.htm3. **FEMMES D'ALGER DANS LEUR APPARTEMENT** Etudes d'Assia Djebar.

4.http://www.histoire-image.org-1789-1945 l'histoire par l'image(Delacroix)

الفـــهرس

الفـهرس:

مـــقدمـة:.....أ
أ-الإطار المنهجي: ..... ث
1-إشكالية الدراسة ..... ث
2- تساؤلات الـدراسة..... ج
3-أسباب اختيار الموضوع :..... ج
4-أهمية الدراسة :..... خ
5-أهداف الدراسة :..... خ
6- المنهج المتبع: ..... د
7-عينة الدراسة:..... ذ
8-الدراسات السابقة:..... ر
9-تحديد المصطلحات:..... ز

ب/ الإطار النظري

ا/ الفصل الأول: سيميائية اللغة البصرية في الفن التشكيلي.

تمهيد 16
المبحث الأول :الصورة كمصطلح فني تشكيلي..... 18
أ) المفهوم اللغوي..... 18
ب) المفهوم الاصطلاحي..... 18

1- أصل اللغة غير اللفظية.....19
2- ولادة اللغة البصرية.....20
2-1- تطور اللغة البصرية.....22
3- حقيقة اللغة غير اللفظية.....26
4- سيميائية الفن التشكيلي.....30
4- 1-الاتجاهات السيميولوجية.....31
4- 2-موجز شبكة تحليل "لوران جيرفيرو".....34
4- 3-مصطلح العلامة السيميولوجية.....35

ب/ الفصل الثاني: تمظهر المرأة الجزائرية في اللوحات الاستشراقية.

تمهيد 37
المبحث الأول: حقيقة الاستشراق.....**39**
أولا- مفهوم الاستشراق(العام والخاص).....39
أ-المفهوم اللغوي للفن الاستشراقي.....40
ب- الفهوم الاصطلاحي للفن الاستشراقي.....41
ت-مستويات الاستشراق.....41
ث-الفن الاستشراقي عند المفكرين العرب.....43
ج- الفن الاستشراقي عند المفكرين الغربيين.....45
ح- البدايات الأولى للاستشراق على الصعيدين الديني والإيدولوجي.....47

المبحث الثاني:**تمظهر المرأة الجزائرية في اللوحة الاستشراقية** **52**

تمهيد 52

1-الجزائر ا وسموم البعثات الاستشراقية 52

1-1-سمات الاستشراق الفرنسي 53

2-حقيقة المرأة الشرقية عبر التاريخ 55

3-افتتان الفنانين المستشرقين وتأثرهم بالمرأة الجزائرية 59

4-المرأة الجزائرية في صميم الفن الاستشراقي 64

ت/ الفصل الثالث: واقعنا و الاستشـــراق **69**

تمهيد **70**

المبحث الأول: **حقيقة المستشرقين** 70

أ) المستشرقون ومحاولتهم إفساد المرأة الجزائرية المسلمة 71

ب) وسائل المستشرقين لتشويه الفكر التراثي لأمتنا 74

خلاصة 76

المبحث الثاني: **إنصاف النتاج الاستشراقي؟** 77

تمهيد 77

أولا) أعمال رائعة للمستشرقين بالجزائر 77

1- "أوجين دو لاكروا" 78

2- "هوراس فيرنيه" 79
3- "أوجين فرومونتين" 80
4- "ألفونسو إيتيان دينيه" 80
5- "رنوار" 81
ثانيا) المرأة الجزائرية المسلمة في نظر المستشرقين 82
ثالثا) تأثير الإسلام في المستشرقين 83
أ) شهادات استشراقية أنصفت الحضارة الإسلامية 84
ب) مستشرقون أسلموا 86
الخلاصة 88

ث/ الفصل الثالث:(الإطار التطبيقي- قراءة سيميولوجية للعينة المقترحة-)

تمهيد 90
I-عينة الدراسة (لوحة ثلاث نسوة جزائريات داخل غرفتهن لأوجين دو لاكروا) 92
أولا/ القراءة التعيينية 93
1- الأبعاد التاريخية للوحة الفنية 93
أ- الفنان صاحب اللوحة 95
ب-ما قال دولاكروا عن المغرب والجزائر 96
ت-ما قاله عمالقة الفن الاستشراقي عن اللوحة 96
2-الجانب التشكيلي (الرسالة التشكيلية) 98

ثانيا/ القراءة التضمينية..... 101
1-الدلالات التعبيرية في اللوحة 101
2-الأبعاد الضمنية والصريحة في اللوحة 104
3-دراسة المضمون..... 107
II- نتائج التحليل: 108
ملخص الدراسة: 109
الملاحق..... 111
الخاتمة..... 122
قائمة المصادر والمراجع..... **125**
فهرس الموضوعات..... **130**

ملخص المذكرة:

لعب الاستشراق دورا مهما في احتلال الجزائر حيث استطاعت اللوحة الفنية عن طريق علاماتها التشكيلية أن تعبر عن أفكار وانتماءات ومشاعر الفنانين المستشرقين، الذين استغلوا هذه الوسيلة الاتصالية الفعالة والمؤثرة لتمرير أهدافهم الاستعمارية، لقد أريد بالجزائر أن تكون أندلسا جديدة، أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الإسلامي، وأن تبتلعها الصليبية الأوروبية، فركزوا بذلك على شريان الأمة وعصب المجتمع، ركزوا على المرأة الجزائرية المسلمة، ركزوا على الأم المربية، ركزوا على الزوجة على الأخت والابنة، أو بالأحرى ركزوا على كل شيء ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنسى لحظة ولا تكف.

لكن الجزائر بدل أن تموت انتفضت حية، بدلا من أن تنهار تماسكت وتجمعت وأعلنت وجودها بفضل الله ثم بفضل شعبها.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المستشرقون، سيميولوجيا، لوحات فنية استشراقية.

***Abstrac**..... (English Language)

Orientalism played an important role in the occupation of Algeria, where the art painting through its plastic signs to express the ideas and affiliations and feelings of Orientalist artists, Who took advantage of this effective and effective means of communication to pass their colonial goals, They wanted to be Algeria, like Andalusia new, they wanted to take away from the body of the Arab Islamic world, and swallowed by the European Crusader, Ils voulaient l'Algérie à être comme une nouvelle Andalous, ils les voulaient se détacher du corps du monde arabo-islamique, et engloutis par la croisade européenne, Focused on the artery and nerve of society, focused on the Algerian Muslim women focused on the mother who raised the focus on the wife of the man and